سعد الله ونوس
سعد الله ونوس
سعد الله ونوس
سعد الله ونوس

فصد الدم

ومسرحيات ثانية

دار الآداب

سعدالله ونوس

فصد الدم

ومسرحيات ثانية

منشورات دار الآداب - بيروت

تصوير https://twitter.com/kotobmamno3a

حقوق الطبع محفوظة

http://facebook.com/kotobmamno3a تصوير

الطبعة الثانية

حزيران (يونيو) ١٩٨١

المقهى الزجاجي

مسرحية في فصل واحد

(المكان مقهى ككل المقاهي ، الا ان جدرانه مصنوعة من زجاج سميك ، علته صفرة خفيفة تنبىء بالقـدم والاهمال معا .

تظهر في المقدمة طاولة جلس عليها أنسي ـ تخطى الاربعين ببضع سنوات ، رأسه متطـاول ، انحسر الشعر عن جبهته في هلال غامق السمرة مغضـن ، ووجهه قناع قديم تناثرت على صفحته ملامحمبتذلة ، الانف المفلطح ، والفم الرخو الذي يتهدل عـلى جانبي فكين اصطناعيين ، والعينان المتربتان اللتـان تتشابك فيهما عروق دموية ، غامقـة الحمرة .. وقبالته على الطرف الثاني من الطاولة جلس جاسم ـ ربما بلغ الخمسين ، يميل الى السمنة ، يمسك بيده اليسرى مرشف نرجيلة . وكل ما فيه منتـه كالقناعة الخالدة : الوجـه والعينان ، وتعبيـر الرجل ككل .

وراءهما المكان مزدحم بطاولات عـديدة ، اكتظ حولها الرواد الذين تخطوا أيضا الاربعين . ما يلفت

النظر في جميع الزبائن تقريبا هو تشابه وجوههم التي تلوح وكأنها خضعت لتغيير بطيء محا مميزاتها الاولى ، وغلفها بمسحة تفهة تتكرر في وجوه كل الجالسين . العيون الضائعة خلف أجفان بلا رموش تضفي على الوجوه تعبيرا جافا .. فارغا . والقسمات المتهدلة التي يتغلغل فيها « نسيان عميق وغائر » يرش عليها تلاشيا صامتا .

على اليمين ، في المقدمة تقريبا ، طاولة مغطاة بلوح من زجاج سميك . يجلس خلفها المعلم «ظاظة» صاحب المقهى ، وهو رجل سمين مورد الوجه ، ترين على ملامحه بسمة تمتزج فيها الوداعة بمكر هازيء أنتجته معرفة دقيقة بالمكان والعمل والرواد. على الطاولة تليفون ، وأوراق لعب ، وفيش ...

بين الرواد ، يجري نادل ممتلىء بالحيوية ، ناحل الهيئة ، في وجهه لامبالاة وذكاء ، واستسلام صامت . عندما يرتفع الستار نرى آنسي وجاسم منحنيين على طاولة نرد يلعبان . وفي حين ان جاسم منهمك في اللعب بكليته ، نجد أنسي مشتتا يطفر من ابتذال ملامحه قلق غامض لم يتوضح بعد ، ولم تكمل ولادته .

جاسم : جهاز ودو (١) عظيم .. (وهو يحرك الأحجار) سددنا الخانة المفتوحة .

النادل : (بصوت زبدي رتيب) واحد قهوة . سكر وسط .

---

(١) اضطررت الى استعمال الالفاظ الاجنبية لارقام النرد . وذلك لشيوع استعمالها ، ولان مرادفها العربي سيبدو ناشزا وأقل ملاءمة للسياق .

جاسم : العب بنج يك . لا تحتاج الى تفكير . ينبغي أن تفتح خانة .

انسي : (لا يبدو عليه التركيز في اللعب) . حقا (يحرك الاحجار) .

النادل : اثنان شاي متخمر .

جاسم : (مبتهجا) هب يك . اثنان .. ثم نضرب بواحد، ونغطي بالرابع .
(أنسي يرفع الحجر المضروب، ويحدف الزهر)

جاسم : شيش بيش . لا يوجد . أتركه في يدك . (يحدف الزهر) جهار وسي .

النادل : واحد قهوة . سكر قليل .

جاسم : جهار وسي . هذا الجهار. وهذا السي. احدف (أنسي يزداد عدم اهتمامه باللعب ، يرمي الزهر) دوشيش . لا يوجد . اتركه في يدك . (يرشف نفسا من نرجيلته، فيجدها قد انطفأت. يصفق . يلتفت النادل ، ويقترب منهما)

النادل : نعم .

جاسم : (بنصف التفاتة) نار .

النادل : (بصوته الزبدي الرتيب) نار .

جاسم : (يحدف الزهر) دوبيش . يا سلام . سأهزمك اليوم هزيمة منكرة .

انسي : (يلقي حبتي الزهر وكأنه يلعب مكرها. ثم بجرس شديد الغموض) أمس هزمت أبا فهمي .

جاسم : (حياد شامل ، وهو منغمر في اللعبـــة) الله يرحمه . (لحظة) كان ينفـّ كثيرا . شيش يك .

(يحرك الحجارة ، ويسود صمت قصير تعــوم فيه ضجة المقهى المتشابكة) .

أنسي : (نفس الجرس الغامض) أول أمس هزم أبو فهمي خرطبيل النحلاوي ..

جاسم : (حياد شامل) رحم الله خرطبيل .. كان يحب الشاي حلوا كالقطايف (لحظة) ولكن لم تلعب البنج . قذر كيفما لعبته .

(ينفض الرماد عن جمرة النرجيلة ، ثم يمصّ أنفاسا متلاحقة منها)

أنسي : (القلق ينمو) هذا الصباح كئيب . (يحـــرك حجرا) .

جاسم : لا .. لعبة خاطئة .. كان يجب أن تحرك هذا .

أنسي : ربما .. (يصفق بيديه)

النادل : (مقتربا) نعم ..

أنسي : قهوة سادة .

النادل : (يتغير صوتـــه ، وتظهـــر فيه أبعاد مختلفـة وأعمق) ولكن .. شربت ثلاثة أكواب يا سيـــد أنسي حتـــى الآن .

أنسي : (مغضبا) وأنت ؟ ما علاقتك بذلك ؟

النادل : لا شيء .. المعذرة .. اني أعتذر يا سيد أنسي. يعود صوته زبديا رتيبا) واحد قهوة سادة .
(يبتعد متزحلقا بين الطاولات)

جاسم : (متضاحكا) والآن .. العب .

أنسي : هذا الصباح .. (تظهر مسحة خوف .. يبتلع الكلمات ، ويرمي الزهر)

جاسم : دوبارة . والله ممتازة . تغير وضع حجارتك كلها . (أنسي ينقل الحجارة . حين ينتهي ، يحدف جاسم الزهر) ونحن .. ماذا سيأتينا ؟ دوسي .. لا بأس . ليكن الدور سباقا .

أنسي : (الجرس الغامض يتخلل صوته ، ماضيا في اللعب) في الفترة الاخيرة ، كان أبو فهمي يكره كثيرا أن يتحول الدور سباقا . تراه كالبهلوان يكشف حجارته ، يضرب دون وعي. يعبث في اللعب مرارا . كل ذلك لكي يظل الدور حيا ، مليئا بالمفاجآت . آخر مرة ، كم كان يهوى مفاجآت اللعب !

(يتقدم النادل حاملا صينية عليها فنجان قهوة وكوب ماء . يضعها على الطاولة جوار انسي ، ويرمقهما بنظرة ذات خبايا ، ثم يستدير ليعود متزحلقا بين الطاولات) .

جاسم : (راميا الزهر) الله يرحمه (هنيهة) لا أدري أين كان يجد تلك المواد التي ينفّها . المعلم ظاظة

بدأ أخيرا يتضايق منه . ما هـذا ؟ (منهمكا في اللعب) بيش دورت . هـــذه البيش . وأكلنا الدورت . واحد . . أم انك ستقاوم . كما تشاء . (يمص نرجيلته مصات قوية متعاقبة ، يلتف الدخان حول وجهــه) درجي . أكلنا أربعـة حجارة . قلت لك لا فائدة .

(يشرعان في صف الحجارة من جديد .. يبدأ دور آخر ، وتسود ضجة المقهى كفمغمة ملأى بالنشاز . خلال ذلك يستمر جاسم في استجابتـه النشيطة ، المتيقظــة للعب) .

النادل : (مقتربا من ظاطة ، بهدوء ، وكأنه يتابع مناقشة) لقد انفجرت أخيرا يا معلم ظاظة .

ظاظة : (دون اهتمام) انفجرت ؟ من هي ؟ . .

النادل : أمي . .

ظاظة : (دون اهتمام أيضا ، مومئا الى رأسه في حركـة نبذ) هل فقدت عقلها ؟

النادل : (بعد لحظة) لا اظن . . حدث الامر فجأة ...

ظاظة : (متضجرا) انـــي أحتقر الانفجـارات والذيـن ينفجرون .

(يصفق أحـــد الزبائن ، فيتزحلق النادل صوبه بحركة رشيقة . نرى ايماءات الزبون ولا نسمعه) .

النادل : (بصوته الزبدي الرتيب بينما يقترب من ظاظة) واحـــد كاكاو (يتغير صوتــه . . الى ظاظة)

أمضت حياتها خلف ماكينة الخياطة . أحسب ان والدي اشتراها لها يوم زواجهما . بعد ذلك لا أذكر انها فارقتها .. وقد انفجرت البارحة .. امتلأ جسدها بالدمامل ، واحتقن وجهها كأنه على وشك الانفجار (منحنيا نحوه) رأيت العينين زائغتين بشكل ملحوظ يا معلم ظاظة .

ظاظة : هذه علامة سيئة .

النادل : (شاردا) منظر مخيف كما لو كانت تنضج في الداخل يوما بعد يوم . ثم انفجرت بغتة . الدمل كالبطيخة .

ظاظة : (مومئا الى شباك تجهيز الطلبات) تجهز الكاكاو . خذه قبل أن يبرد .

النادل : (منتبها ، تعوم حنجرته بالرغوة الزبدية) حاضر .. (يمضي ، فيحمل الصينية الى الزبون) .

جاسم : لا .. لا .. هذه غلطة كبيرة . كان يجب ألا تضرب . (متضاحكا) سهولة الانتصار ستفقدني لذته .

انسي : (واجما) وما أهمية المقاومة ؟

جاسم : (متضاحكا أيضا . أنسي يحدف الزهر) لا تيأس . من يستطيع أن يضمن اتجاهات الحظ ؟ والآن افتح خانة الشيش . أما قلت

لك ، كانت لعبة سيئة (الغمغمة تستمر . هما ماضيان فـي اللعب . ويقترب النادل مـن ظاظة) .

النادل : (يختلف صوته) امرأة عجيبـة يا معلم ظاظة . لم تتذمر أبدا . كانت تعيد خياطة الثوب عدة مرات . الا انها البارحة أخـذت تقلد صـوت الماكينة (برررررر) ، وتسأل بنبرة غريبـة : متى بدأنا ؟

(ظاظة ينشغل في اصطياد برغوث يتقافز على الطاولة أمامه ، يلحظه النادل ، فيجرب مساعدته ..) .

ظاظة : لا تفعل .. دعه لي .. (يخبط كفه على الطاولة عدة مرات .. بينما البرغوث ينطّ مذعورا) أين ذهب ؟ هل قفز عن الطاولة ...؟

النادل : (حزينا) وربما قتل ..

ظاظة : (يتفحص كفه) أتظن ؟.. لا .. (آسفا) أعتقد انه نجا بنفسه .. مع هذا لا بد أن يعود ... المكان مغلق باحكام ..

النادل : (حزينا) ألاحظ ان البراغيث تزداد كثيرا فـي الفترة الاخيرة .

ظاظة : لا بأس .. انها تتيح لنا تسلية ممتعة .

النادل : طبعا .. طبعا (نغم سخرية خفيفة ينسلّ الـى لهجته المحزونة) والواقـع لا يحق لاحـد أن

يشكو . ففي مقهانا عدد من التسليات لا يتوفر في أي مكان آخر . (لحظة) لكـن ... ذلك مفاجىء يا معلم ظاظة . من كان يتوقع انفجارا كهـذا ؟

ظاظة : (بلهجته اليابسةاللامبالية) أي انفجار ؟

النادل : هل نسيت ؟.. انفجار والدتي ...

(يرتفع شخير منسي ، وهو رجل وقور حين يكون صاحيا ككل رواد المقهى . ولو كان يسمع نفسه الآن ، لشعر ببعض الخجل .. انه مضطجع على كرسيه ، مائل الرأس ، ومع كل زفير ، ينتفخ خداه كالكرة ، ثم يضمران بعـد خروج الهـواء . ينتبه ظاظة ، فينظر اليه ..) .

(يتابع النادل كلامه) انها لا تفتأ تقلـد صوت الماكينة .. بر .. ر .. ر .. وقد قالت: كأنه حلم .. ثم سألتني : متى رحل أبوك ؟.. هل أخبرك انه لن يعود ؟.. (يرتفع الشخير ، فيعلو صوت النادل تلقائيا) كنت أود أن أكون الى جوارها . لكنهـا قالت : لن تستطيع . حاول كثيرون قبلك ولم يستطيعوا . (بجدية) معلم ظاظة .. ماذا تقصد بهذا ؟.. (الشخير حاد ومنتظم جدا) .

ظاظة : اذهب ونبّه السيد منسي . صـوت شخيـره أعلى مما يجب .

النادل : (منتبها ، تنبثق الرغـوة الزبدية) حقـا .. ما هذا ؟.. (يهمّ بالتزحلق نحوه) .

ظاظة : وأيقظ السيد شربيني أيضا . لقد حان موعد قهوتـه ..

النادل : حاضر .

(انسي وجاسم ، ما زالا في غمار لعبتهما . انسي بقلقه الغامض وتشتته وجاسم بانكبابه الحماسي) .

جاسم : (يخضّ حبتي الزهر بيده ، متحمسا) والآن .. هات دوشيش . لنكسب دورين مرة واحدة . أف .. شيش وسي . يا خيانة الزهر ! كم أصبحنا ؟.. ثلاثة لي .. وصفر لك .

النادل : (بصوته الزبدي الرتيب) واحد قهوة .. سكر وسط ..

(يبدأ انسي وجاسم فـي رصف الحجارة لـدور جديد .. ويهوي ظاظة بكفه على الطاولة .. انـه يطارد برغوثا آخر ، يخبط عدة خبطات متلاحقـة . يقترب النادل) .

النادل : (وقد تبدّل صوته ، ما عاد زبديا ، لكنه فارغ) هل نجحت في قتله يا معلم ظاظة ؟

ظاظة : (مخيبا) لعنة الله عليها . هذه البراغيث سريعة الحركة . (يمسح الارض بنظراته) لقد قفـز خارج الطاولة .

النادل : (صوته يمتلىء) لم يعد الصيد جراة بقدر ما هو حنكة . (يصفق زبون ، فيتزحلق النادل متجها نحوه وهو يصرخ) حاضر .

جاسم : بنج ودو .. يجب أن نلعب هذه المرة بطريقة مختلفة . سأفتح لك خانة . انا بحاجة الى دور مزدوج . ماذا تنتظر ؟.. العب (أنسي يحذف الزهر) سي ويك . (يقهقه) انها محيرة قليلا . نريده مزدوجا كي نحقق النصر . (يرشف بضعة أنفاس من نرجيلته ، ويقرقر الماء) هل ضربت ؟.. تريد أن تغامر اذن ؟ (يخض حبتي الزهر ، ثم يرميهما على الطاولة بقوة ، تقفز واحدة وتسقط على الارض جوار أنسي) لا .. اني متأسف . غلبتني الحماسة . (يتناولها أنسي .. ويعود جاسم فيرمي الحبتين) طيب .. جهار وسي .. احمل هذه بيدك . أما السي ، فسنفطي به .. ستكون هزيمة ممتازة . (أنسي يصفق) .

النادل : (متزحلقا صوبه) حاضر . (يقف الى جواره) نعم يا سيد أنسي ...

أنسي : (بقلقه المتنامي) هات لي نرجيلة .. أريده تبغا عجميا ..

جاسم : (صاخب الصوت .. دون اهتمام) لا تأمل . سيقولون انه عجمي .. لكنه أردأ أصناف اللاذقاني .

النادل : (ينفر النبض الانساني في صوته) علمي انك تجرب الاقلاع عن التدخين .

أنسي : (منفجرا) وأنت .. ألن تقلع عن عادة التدخل فيما لا يعنيك ؟..

النادل : (متراجعا بلا دهشة) آسف .. أنا جد متأسف يا سيد أنسي .. حاضر .. حاضر .. سيكون التبغ عجميا كما تريد . (ينسحب وعلى وجهه تتدافع معاني من يفهم ما يجري حوله) .

أنسي : أف .. عمّ يدل هذا كله ؟

جاسم : (غارقا في اللعب) .. شيش ودو .. أغلقنا باب الشيش ..

أنسي : (كالمشمئز) شيء لعين .

جاسم : (متضاحكا) لا تغضب .. كان اغلاقه أمرا متوقعا للغاية .

أنسي : (متضايقا .. قلقه لا يفتأ يتزايد) لا .. لم أعن ذلك .. ليس اغلاق الشيش ما .. (يتوقف. ترتجف عيناه .. فجأة) كيف تمضي الاحوال مع أولادك يا جاسم ؟

جاسم : (لا يتوقف اللعب خلال الحوار التالي . بلهجة مبتذلة) أولادي ! لست من يهتم بمشاكل أولاده . اني اعرف جيدا كيف أعاملهم . (منتفخا) الضرب هو سيد المعلمين . وينبغي الا نتساهل معهم ، والا أوقعونا في مآزق وسخافات . أحب أن تكون الامور منظمة . لذلك لا أقبل التغاضي عن أي فوضى أو

انحراف .. أه .. ماذا ؟ هل انقلب الحظ ؟..
رميتان والحجر المضروب في يدي : لا تستطيع
بعدئذ القول بأن الحظ منحاز (أنسي يرامقه
بتقزز خفي ، وقلقه أغنية تحرّها بحة) كنا
نتكلم عن الاولاد .. (يمصّ نرجيلته عبثا) مرة
علمت ان عبد المجيد بدأ يتعلم التدخين ..
فماذا تظنني فعلت ؟.. (بخيبة) مرة أخرى
لا شيء .. هذه كبيرة يا زهر . المهم ما زلنا
نلعب. (أنسي يرامقه أيضا بتقزز) يا سيدي..
يومها جعلته يبصق كل ما دخنه آهات مكتوية..
ظللت أضربه ، حتى ترحمت الارض به . وتجمع
الجيران على باب المنزل . حشرة أنا الذي
بذرتها تريد أن تتحداني . ما أكون اذن ؟..
لقد لقنته درسا قاسيا لن ينساه هو واخوته ما
داموا أحياء . بنج وسي .. بنج وسي .
سأخاطر وليكن ما يكون .. الاولاد لا يشكلون
مشكلة الا بالنسبة لآباء ينقصهم الحزم . رأيي
حاسم في هذه القضية .

أنسي : (ينضاف الى القلق الشعور بالوحدة) ولكن ..
كيف أعبر لك عن الامر . (يتردد لحظة) ألا
ينظرون اليك أحيانا بعيون غريبة .. لا تفهم
ما يدور في أعماقها الغامضة ؟

جاسم : (صوته صاخب بابتذال) ينظرون اليّ ؟ ماذا
تقول يا رجل ؟ والله لا ينقصنا الا ذلك . حين

أدخـــل البيت ، لا بد انهـم يحسون الارض ترتجف تحت اقدامهم . من الـذي يجرؤ اذن على النظر في وجهي ؟ ولكن ما العمل مع هذا الدوبيش ؟! ليت تدبير كل المشاكـــل سهل كتربية تلك الحشرات التي نلـــدها . (أنسي يشمئز دهشا) لا مهرب . سنفتح خانتيـــن وحق الرب كما تلاحظ . ان هذا الدوبيش مثلا شيء مختلف . شيء قاس وسخيف . وربمــا كان أصعب مائة مرة من زرع النظام في أسرة. ليرحمني الحظ . يمكنك أن تضرب الحجرين معـــا .

أنسي : (يوالي اللعب آليا . فيما يتفـــاقم الاضطراب بروزا في عينيه الرماديتين) ربما . لا يبدو ان ذلك واضح بشكل أكيد .

(يغمض عينيه فـي تعب وتوحد ، ويقترب النـادل حاملا النرجيلة . يضعها جوار آنسي بعناية . ويحل له أنبوب المرشف الطويل ، ويقدمه بحركة احترام. انسي يتناول المرشف ، بيد لاهفة ، ويرشف بشراهة عدة أنفاس متلاحقة باحثا عن دخان التبغ الذي بـدأ يكوّن سحابة فوق ماء النرجيلة المقرقر) .

جاسم : دورك . (يتناول أنسي حبتي الزهر) لو تسرع. هذا الدور مملّ حقا . انه يتأرجح بيننا بطريقة سقيمة . لا أحب الادوار الغامضة .

أنسي : (وكأنه لا يسمع . متابعا الاحاسيس التي تنغل خلف عينيه الغبشاوين .. ان اللهجـة مقطعة

ومترددة في البداية) أمر كأنــــه السحر .. لا يعرف المرء كيف حدث .. فجأة .. هكـذا فجأة .. لحظة لا ننتظر فيها ما هو مختلف .. ينبثق أمامك ذلك الشيء الحاد ، وكأنه ينتظرك منذ ولادتك .

جاسم : أرجوك .. لا تبطىء في اللعب ..

أنسي : (راميا الزهر ، يعمق شعوره بالوحدة ، لكنــه يوالي) مرة أفكر ان الحادث محض مصادفة.. لكن ، قليلا .. قليلا ، أعود فأعتقد ان المسألة مدبرة. ولا أعرف كيف.. سر .. أسرار كثيرة كالامواج الهائجــة . (يزفر ، والقلق يتزايد) تقريبا .. كـــنت سأخرج عندما حانت مني التفاتة اليه ..

جاسم : (خلال الحديث) سي وبك .. هذه تحتاج الى تفكير ..

أنسي : (مواصلا) انـــه ابني .. مرّ وقت طويل لـم اتذكره . ما أشقّ ذلك ! كان غـائبا كالذكريات البعيدة .. كالزوجة .. كطلاء باب المدخل .. لكن .. (يرتعد الصوت) هو ذا أمـــامي لا تفصلني عنه أكثر من مساحة بلاطة .. كـان يتنفس بهدوء .. وفي عينيــه نظرة وثنية .. كأنها تهدد .. لا ليس هذا .. ربما تعاتب .. لا .. وليس عتــابا . كالجلد .. كالسمّ .. آه .. لا أدري .. شعرت .. كما لو كان قلبي

سمكة انسدّت غلاصمها .. وشرعت تختنق ببطء . (يلهث الصوت) حاولت التملص .. الا ان النظرة ثابتة لا تختلج .. بحر غريب بلا أمواج .. وبغتة لا أفهم شيئا .. بغتة بدأ الفلام يكبر .. كان ينمو .. وينمو .. أذكره قبضة من اللحم الاحمر ، وها هو أمامي يتسع ويتسع.. ملأ فضاء الغرفة كله.. انه يحشرني في الحائط .. يلغيني .. يا رب السموات والارض .. لا أعرف كم دام ذلك .. وحين أصبحت في الشارع التفتّ الى الوراء فوثب قلبي .. كانت النظرة قد أصبحت على الشرفة. (يخفت صوته) وبدأ التعب .. أحسست ظهري يحدودب ، وقدميّ تضعفان .. وان شيئا ما قد تعطل . وتذكرت أبا فهمي .. وكذلك خرطبيل النحلاوي . لا أدري .. ان هذه الامور صعبة بشكل مخيف .. ومع هذا فهي تنفجر دون تمهيد .

جاسم : (بلهجة مبتذلة ، وهو لا يتغافل لحظة عن اللعبة) على كل .. اطمئن .. ستكسب هذا الدور على الاقل .

أنسي : (مستيقظا بانزعاج) هذا الدور !

جاسم : منذ بدأ يترنح عرفت ان النتيجة لن تكون في صالحي . أنظر .. جهار ويك .. بحق الله ماذا يمكنني أن أفعل بهذا الجهار واليك ؟

كيفما تحركت سوف تنالني .. لا فائدة .. اني أعرف جيدا كيف أميز بين الادوار الرابحة والادوار الخاسرة ...

(من جديد .. يخبط ظاظة على زجاج المكتب .. يقترب النادل وعلى ثغره بسمة) .

النادل : الحنكة قبل الشجاعة .. لا تنس ذلك يا معلم ظاظة .. تأنّ قليلا .. (باهتمام ساخر وهو ينحني على الطاولة) خمّن في أي اتجاه سيقفز ، ثم عاجله بضربة محكمة . آ .. أنظر كم يبدو رشيقا ! (ينهال ظاظة بكفّه على الزجاج .. تتألق عيناه ، يرفع كفّه وينظر اليها .. البرغوث ممعوس على احدى أصابعه)

ظاظة : (باغتباط) لقد اصطدت واحدا .. أنظر .. جثته معجونة على اصبعي .. لقد اصطدته .. لقد اصطدته .

النادل : حقا .. أي مصير ! (ينقلب صوته زبديا شبه مرح) المعلم اصطاد برغوثا .. المعلم اصطاد برغوثا ..

(لا أحد يهتم .. كل الزبائن غارقون في «أعمالهم» .. بعضهم يلعب الورق .. بعضهم يلعب النرد .. البعض يدخن .. البعض نائم .. الزجاج المترمد لا يعكس على الوجوه الا بهوتاً مصفراً لا يذكر بالنهار ، ولا بالفصول .. بل بحكاية قديمة تدور كلها في بئر تحت الارض ..) .

جاسم : وماذا يعني أن تنال دورا مـــن الخمسة ؟! لا .. لا تبن أحلاما كبيرة على هذا الدور .. (يرصف الحجارة) على كلّ .. هذا سيعطينا فرصـــة أطول للعب ..

(بينما يرصفان الحجارة ، وأنسي يمصّ دخـــان نرجيلته .. على طاولة فـــي وسط المقهى ، يسقط راس زبون على كتفه ويهمد ..

ان الحوار سيبدأ خافتا ، ثم يعلو بالتدريج دون أن يحدث هرجا .. التنظيـــــم من القوة ، بحيث لا تشوشه الاحداث الجارية . الزبون هامد .. رأسه متدلّ ، كما لو انه مشنوق)

زبون : ماذا حدث ؟..

زبون : مات ..

(همسات وأصوات ، ورؤوس تتدانى ثم تتباعد) .

ـ مات ..
ـ مات ..
ـ السيد عبد الحميد الدرويش مات ..
ـ مات ..
ـ مات ..

(للكلمة ايقاع فارغ يتواثب بحركة متسارعة) .

ـ مات ..
ـ مات .. ـ مات .. ـ مات ..
ـ من ؟ السيد عبد الحميد !
ـ نعم .. لقد مات .

ـ مات . .

ـ مات . .

ظاظة : مات عبد الحميد الدرويش .

النادل : لا اله الا الله .

زبون : كل من عليها فان . ويبقى وجه ربك ذو الجـلال والاكرام .

(لا يطرأ أيما تغيير أو تبديل على وجوه الزبائن . ملامحهم أرسخ من الاهتزاز بالاحـــداث الجارية . انسي فقط هو الزبون الذي غام وجهـه ، وجحظت عيناه شاخصا الى الرجل الميت . طبعا لقد توقفت الان معظم « الاعمال » باستثناء بعض الطاولات القصية التي استمر زبائنها في اللعب ..) .

زبون : يا حسرتي . من التراب واليه .

زبون : كلنا اليها .

زبون : القبر ستر للانسان .

زبون : لا اله الا الله الحي القيوم .

زبون : يجب ألا يتأخر الدفن .

(النادل يخرج من باب داخلي ويختفي) .

ظاظة : سيكون كل شيء على أحسن ما يرام .

(انسي يزداد هلعا . والزبائن المنصرفون الـــى ألعابهم لم يتوقفوا .

من الوراء تنبعث أصداء آذان بعيدة . الله أكبر. الله أكبر . الله أكبر .

يولويء زبون بالبكاء ، لكن دمعة واحدة لا تنسكب من عينيه)

زبون : رحمه الله .

زبون : سبحان العليّ الجبار .

زبون : جميعنا على هذا الدرب نسير .

زبون : يجب ألا يتأخر الدفن .

(ظاظة ينظر من الباب الداخلي ، فيبصر النادل عائدا ، ووراءه رجل يحمل مجمرة تفحّ خيوط البخور المشوبة بزرقة خفيفة ، ووراءه شيخ جامد الملامح ، ورجلان يحملان نعشا قوائمه مغطاة بالريحان والازهار الذابلة) .

ظاظة : ها هم . ها هم . سيكون كل شيء على أحسن ما يرام .

(تعلو همهمة لدى دخول الجماعة .. يسود الاصوات هذان النداءان الدينيان : الله اكبر .. الله الدائم الباقي ..) .

الشيخ : الله أكبر .

الزبائن : الله أكبر . (ما زالت تصل أصداء الأذان خافتة)

(يقف الجميع تقريبا ، فيما يحمل الرجلان جسد المتوفي ، ويضعانه في النعش .. يرتفع نداء « الله أكبر » في أرجاء المكان ، ومع هذا لا تتسرب اليه أية حرارة . يحمل الرجلان النعش ويخرجان بهدوء من الباب الداخلي ..)

اصوات مختلطة : الله يرحمه .
رحمة الله عليه .
رحمه الله ...

(وشيئا فشيئا يجلس الجميع ، ثم يعودون الى العابهم .. وحتى على طاولة الذي مات ، يحتل رجل جديد الكرسي الفارغ .. ويستأنف اللعب ..)

النادل : (مخفيا لمحة اضطراب تعكر وجهه) فقدنا زبونا يا سيد ظاظة ..

ظاظة : (باستهجان) أهذا ما تفكر به ؟.. مات كثيرون، وظلّ المقهى يغص بالزبائن .. بعد قليل يأتي سواه . ورأينا أبنـاء يجلسون على كراسي آبائهم .. وأخوة على كراسي اخوتهم .. لا .. ما قلقت يوما لمسألة كهذه ..

جاسم : ماذا تنتظر ؟.. (يتم رصف حجارته) احذر .. هذا الدو لن أتهاون به أبدا . (يمصّ نرجيلته، يتذكر انها مطفأة .. يصفق) .

النادل : حاضر .. (أنسي يرصف حجارتـه بيد ميتة) نعم ..

جاسم : نار .. ما هذا ؟.. انها تنطفىء بسرعة .. أريد جمرة كبيرة .

النادل : (بصوته الزبدي) نار .. (يبتعد) .

انسي : (شاردا مع خوفه الداخلي) وهذا عبد الحميد الدرويش يمضي ..

جاسم : رحمه الله . كان يحب الشوكولاتة كثيرا . لماذا لا تحدف ؟ يفقد اللعب لذتـــه حينما يكـون بطيئـــا . (أنسي يرمي الزهر) بنج ودو .. العب .. بداية غير جيدة .. ونحن ؟.. (يلقي الزهر) دوشيش . . أغلقنا الخانتين الاساسيتين . قد تنتهي الخمسة بهذا الدور (حامــــل النار يحضر بمنقله ويضع عـــلى تنباك النرجيلتين جمرتين كبيرتين) .

النادل : يا معلم ظاظة . . أتذكر الآن صوتها وهي تقلد ماكينة الخياطة .. كم هو مخيف ! كـــانت تبكي .. أو ربما كانت تقهقه . لست متيقنا من شيء . الا انه صوت غريب يذكّرك بالظلام والكوابيس وأشباح الليل .

ظاظة : (بمنتهى الاهمال) عمن تتكلم ؟

النادل : عــــن والدتـــي . أم انك نسيت ؟.. (لحظة) وذلك السؤال : متى رحل والدك ؟ لم تسألـــه أبدا من قبل . ماذا أجيبها يا سيد ظاظة ؟.. (يصفق زبون .. يتغير صوته) حـــاضر .. (يمضي نحوه .. ويهزّ ظاظة رأسه) .

جاسم : أترك الحجر في يدك .. بدأت النتيجة تظهر . (يحدف الزهر) شيش بيش .. لا نريد أكثر من هذا .. أصبحت الخمسة مؤكـدة .. ماذا تأمل بعدئذ ؟.. (يتضاحك) للحظ حدود ..

والانامل واقعة لا يغضّ من شأنها .. أليس كذلك ؟..

أنسي : (أشد حالات الاضطراب) الانامل ؟.. نعم .. (لهجة بطيئة واهنة) انها في النهاية تتفلس.. تنسى كيف ترمي الزهر .. لكن المرء لا يكتشف ذلك الا بغتة .. يبدو ان للانسان أيضا براكينه الباطنية .

(ظاظة يفتش بعينيه سطح الطاولة) .

النادل : واحد قهوة حلوة .. (ثم يقف الى جوار ظاظة مهموما يطارد فكرة معينة) .

أنسي : انه مع هذا ابني .. (بعنف) ولكن ماذا يريد ؟ لقد انبثق فجأة .. وها هو ينمو .. وينمو .. (بهياج) أشعر ان جسمه يزحم المدينة بكاملها. امتداده يصل حتى هذا المكان المعزول .. فماذا يريد ؟..

جاسم : (كالهمهمة) دوبارة .. كل شيء حسن .. اثنان .. واثنان .. وهكذا تنسدّ أمامك كل الابواب .

أنسي : (مرتعدا) كل الابواب على الاطلاق . وهو ينمو لا يزال . قبل الصباح لم يكن له حجم أو ثقل. ثم يا رب .. بنظرة واحدة . نظرة ملعونة . أصبح كالجبل المخيف . واهتزّ كل ما تحسبه ثابتا .

جاسم : (متضاحكا) بشأن الحظ لا يحكــى عما هـو ثابت .

انسي : (الصوت يشتد حزنا ، والوجه يتهدج) أكثـر من الحظ ! اعني ما هو أكبر واشد تعقيدا . نحن .. أو .. لعنة الله على .. لا أدري ماذا ينبغي أن أقول . (بخوف) اتذكر أبا فهمي ؟ وعبد الحميد الدرويش مضى . ربما كـان سيكسب لعبته لو أتمّها . لكنه مضى والعينان تعذيب صريح يوقظ كل الخلايا النائمة . آه . سمعت مرة ان حيوانات البريـة تشم رائحـة البراكين قبل أن تنفجر .

جاسم : (نافثا غيمات الدخان) هل تتوقع معجزة ما ؟.. صدّقني لقـد انتهت الخمسة . كم حجـرا مضروبا لـديك ؟ أم انك تنتظر اصابتي ؟ اننا نلعب على كل حال . بنج وسي . أدخلنا البنج وأكلنا السي .

ظاظة : (متأففا) اختفت كلها . هذه البراغيث الملعونة . لقد عرفت أيـة يد ماهرة تترقب صيدها . تطلّع جيدا . هل ترى برغوثا واحدا حولنا ؟

النادل : (ما فتىء مهموما) لا أرى شيئـا . (لحظـة صمت . وفجأة) يا معلم ظاظة . في أي يوم نحـن ؟

ظاظة : (يغضب وجهه . تحمر عيناه . يفتش لحظـات عن كلمات ، ثم تتدفق الالفاظ حادة عنيفـة

يبللها رذاذ من بصاق) عمّ تسأل ؟ ما هذه الوقاحة ؟ ما هذه القذارة ؟ في أي يوم نحن ؟!

(ينتبه أنسي للكلمة ، فيصغي مصفرّ الوجه) أوه عليّ أن أكتم الفضيحة . أيها النذل . كنت أحسّ تغيرك .. كلمات مريبة . ثم تأتي لتسأل . لا .. اني لا أسمح .. قد أتهاون ببعض الامور الطفيفة . لكن أسئلة تافهة كهذه . لن أتركها تتسلل الينا . أية خيانة ؟! انك تعرف جيدا محظوراتنا . تعرف قوانين عملنا . ومع هذا ؟.. لا .. لا تدعني .. .

النادل : (شبه خائف من رنة سخرية خفيفة) أرجوك يا معلم ظاظة .. اني لا أعني .. أقسم انني لا أعني .. أستميحك العذر . ذلك السؤال الخبيث . أرجوك لا تغضب .. كنت أريد فقط أن أعرف متى رحل والدي .. لقد سألتني أمي عن ذلك .. لعله الاضطراب .. انك محق . أعرف ذلك كما أعرف هذا المكان . ولولا الغفلة لما ارتكبت فاحشة كهذه . (يصفق زبون) حاضر .. ألف مرة أعتذر .. (يتزحلق بطيئا الى زبونه) .

ظاظة : (ولم يهدأ غضبه) الغبي ! لم يبق الا أن نعلّق تقاويم على الحيطان ، ونرعب زبائننا بدقات الساعة .. ه .. نادل أبله !..

أنسي : (وجهه ليموني وشفتاه مرتعشتان . لقد غادر

اللعب نهائيـــا .. يردد لنفسه بصوت خفيض يــرتجف) في أي يوم نحن ؟.. في أي يوم نحن ؟.. في أي يوم نحن ؟..

جاسم : العب .. انفتحت خانـــة الشيش . ولكن مـا الفائدة ؟!

أنسي : (وهو يرمي الزهر) في أي يوم نحن ؟..

جاسم : دوبيش .. لا شـــيء .. (يحـــدف الزهر) دوسي .. لنتجنب المخاطر . قلبنا ثلاثة وأكلنا واحدا ..

أنسي : (وهو يرمي الزهر) في أي يوم نحن ؟!

جاسم : شيش بيش.. (فرحا) أه .. ضع الحجرين.. ماذا يمكنك بعد أن تفعل . تحتـــاج الى حظ خارق لتنجو من أحد الدورين. (يرمي الزهر) سي ويك . أكلنا اثنين . (يرمي أنسي الزهر) شيش وسي . ماذا ؟.. ألا ترى انه لم تعـد هنالك أية فرصة ؟

أنسي : (فجأة .. بصوت مرتفع) جاسم . في أي يوم نحن ؟..

جاسم : (بضيق) عمّ تتكلم ؟.. لقد انتهت الخمسة . أم انك تريد أن تعاند ؟!

انسي : (مصفرّا .. منهارا) أجل .. انتهت الخمسة . ولكن أسألك .. (يتوقف .. تجحظ عيناه . يتطلع عبر زجاج المقهى . يرى حصـاة صغيرة

تصفق الزجاج في ضجة خافتة) هل سمعت ؟ هل رأيت ؟..

جاسم : (وهو يطبق طاولة النرد في انشراح) وبذا أكون قد هزمتك .

أنسي : (جزعا) انها حصاة انقضّت علينا . رأيتها تهزّ زجاج المقهى . (جاسم ينظر اليه في ضيق ، ثم ينهض بهدوء ، وينتقل الى مكان آخر .. يظل أنسي وحيدا في قبضة هلعه واضطرابه وتشتته .. تتسع حدقتاه ، وتنهال حصاة أخرى على المقهى .. ان أنسي وحده من يرى ، ويسمع) حصاة أخرى .. يا رب.. انهم يضربون الجدران.. قد يتهشم الزجاج.. قد .. (يصفق) .

النادل : حاضر .. (يقترب من أنسي) نعم ؟

أنسي : ألم تر ما حدث ؟..

النادل : ماذا تقصد يا سيد أنسي ؟..

أنسي : رأيتهما بعينيّ .. كانت الثانية أكبر من الاولى قليلا .. آه .. (تتسع حدقتاه .. حصاة ثالثة أكبر حجما تنهال على الزجاج) أنظر .. أنظر .. ها هي حصاة ثالثة (يميل برأسه وكأنه يتقي الحجر) أرأيت ؟.. سيتناثر الزجاج عما قريب ..

النادل : (حزينا) انك متعب قليلا يا سيد أنسي ..

ووالدتي ايضـا .. دع الامور تمرّ بسهـولة ويسر ..

آنسي : ولكن الم تر .. لا بد انك رايته ..

النادل : (حزنه أعمق) هل ترغب شيئا ؟..

انسي : لا يصـحّ ذلك .. ينبغي أن تفعـل شيئا .. ربما .. اه .. (تتسع حدقتـاه من جديد ، ويخفي رأسه بيده) أنظر .. أنظر .. (يفرقع الحجر على الزجاج ، ويبلع النادل عنقه بحركة لا ارادية) هذه المرة لا تستطيـع أن تماريني ، اليس كذلك ؟..

النادل : سأطلب لك قهوة مرّة يا سيد أنسي .

انسي : (لاهثا وضائعا) لعنة الله على القهوة المرّة .. لا أريد .. دعني.. سأكلم المعلم ظاظة بنفسي. لا يمكن أن نهمـل الامر .. هنالك من يرمي علينا الحجارة .. ومع هذا لا أجد مـن يحرك ساكنا .

النادل : أنصحك ألا تفعل ..

انسي : ه .. بل سأفعل .. والله انها سخافة (ينهض ويمضي الى المعلم ظاظة . أثناء انتقاله يتـوقف ويكرر حركة الاحتماء بيـده .. حجر آخر يسقط ، ويرجّ الزجـاج بصوت مقشعر) انهض يا معـلم ظاظة .. يجب أن تجد حـلا باسرع ما يمكن .

ظاظة : (بهدوئه المعتاد وعدم اكتراثه) ماذا هنالك ؟..

أنسي : (مذعورا وغاضبا) لا تقل لي انك لم تره ..

النادل : يبدو ان التعب ألمّ بالسيد أنسي ..

أنسي : (بعنف) أسكت أنت (الى ظاظة) ان الحجارة تصفع مقهانا .. انهم يقذفوننا بالحجارة .. وسيتحطم الزجاج .

ظاظة : (ابتسامة لزجة) قدح من الشاي والليمون كفيل بتهدئة الاعصاب كليا .

أنسي : ولكن .. أف .. ماذا تظن ؟ اني لا أمزح .

ظاظة : (الى النادل) أطلب قدحا من الشاي والليمون..

أنسي : (بغضب) لعنة الله على الشاي والليمون .. يحلق الى الخارج عبر الزجاج . ثمة حجران متتاليان ينهالان على الجدار . أنسي يخفي رأسه مغمغما) حجران .. الرحمة يا رب .. لماذا تتجاهل يا سيد ظاظة ؟ انه مقهاك أيضا . يريدون هلاكنا . (كالمهووس) ولكن من ؟.. ماذا يبغون ؟.. (يحملق في الزجاج) هو ذا شرخ .. أنظر .. (ظاظة يفتش بهدوء عن برغوث يعطاده .. يرى أنسي حجرا آخر يسقط .. الى ظاظة) لا تعتمد كثيرا على متانة الزجاج .. اننا مخطئون .. كل ما نظنه متينا يتقوض ويناله الفساد .

ظاظة : (منتهى الهدوء .. للنادل الحزين ..) هل طلبت الشاي ؟..

النادل : واحد شاي مع الليمون ..

انسي : قلت لا أريد .. كأني بكما لا تصدقان .. أوه .. (تجحظ عيناه) حملقا جيدا .. ثلاثة احجار متتابعة.. (يبتلع رقبته) طق.. طق.. طق.. ليرحمنا الله .. أيكون ذلك عبثا ؟.. لا .. الحجارة مستمرة حتى ينهدم كل شيء فوق رؤوسنا .. عالم بأكمله سيتهدم .. ولكن ألا نتحرك ؟..

(تتابع الحجارة واحدة اثر الاخرى . كل واحدة تحدث هزة ، وهي تصفق الزجاج .. انسي يفرز عينيه فيما يتابعها .. يهرع الى جاسم ..) .

ظاظة : الافضل أن يكون الشاي شديد الاختمار ..

النادل : (ساهما وراء أفكار غامضة) ربما .. أجل .. سأنبههم الى تخميره ..

أنسي : جاسم .. أنت صديق قديم . لا تكن مثلهم .. انك ترى الحجارة.. قل .. لا بد انك تراها.. ينبغي أن نفعل شيئا .. الا توافقني ؟

جاسم : (لهجة محايدة) لا تبتئس .. لست أول من تحلّ به الهزيمة .. (ظل ابتسامة) وتذكّر ان الدنيا سجال .

انسي : لا أتحدث عن هزيمـــة النرد .. هنالك ما هو
أسوأ .. أنظر .. أنظر قليــلا الى الخارج ..
ها هي تنهال.. ستتحطم جماجمنا.. أعرف..
منذ تلك المفاجأة مع الابن .. يا رب .. أحقـا
لا تراها وهي تنهال كالقذائف ؟ (جحوظ أكثر)
الزجاج يمتلىء شروخا . لا .. لنبذل مجهودا.
لن ندع بنياننا ينهار فوق رؤوسنا . (كاليائس
.. هيئته تحاكي الشمالي الى حد العته) يا الله.
كل شيء كان هـــادئا .. يمضي بسهولة ..
وكأنه لا يمضي .. وبغتة برز الابن .. الابـن
الذي ولدته .. ليذكرني بالذين ماتوا.. ليبلبل
المجرى حتى قعـــره .. مات عبد الحميـــد
الدرويش .. وسنموت أيضا . لقـد متنا ..
اننا أموات . (بذهول) أين كنا ؟.. أين كنـا
يا جاسم ؟ ابني ينظـــر الي .. يزحمني ..
يخنقني .. لعله يريد النوم في فراشي .. لعله
يحب أشيـــائي .. لست أدري .. أرجوك ..
أنت صديق قديم .. وعليك ألا تتخلى عنا !..
لنساعد أنفسنا .. المقهى يتهدم .. ولن يكون
بعدئذ ثمة نرد أو هدوء (يمسك رأس جـاسم
بيديه .. ويحاول أن يقسره على التطلع الـــى
الحجارة المنهمرة .. عبثا .. ما ان يترك الرأس
حتى يعود الى وضعيته الاصلية جامدا ، مجللا
بالعبوس) لماذا تعذبني ؟.. ان رأسك هو الآخر
سيتنـــاثر نخاعه تحت الانقـــاض . أم انك

لا تصدق ؟! أنا أيضا لم أكن أصدق . فاجأتني الضربة كيقظة الرعب . النهـــار يمضي .. والليل يمضي .. والحجارة تزداد .. طق .. طق .. طق .. (يتحول الى الجميع) سنموت. لقـــد متنا .. اننا أموات .. انتبهوا أيهـــا الاصدقاء .. (يتشقق الزجاج) تهشم الجدار. انهضوا قليلا .. يجب أن نحـــاول .. لا بد أن نتساند .. آه .. لا يمكن أن .. بحق الله ماذا أرى ؟.. تطلعوا (عيناه خلف الزجاج في المدى الرمادي المبهم) جمع من الاطفال .. أطفال .. آه هو ابني .. وحق الله انـــه ابني .. تأملوا عينيه .. النهار يمضي .. والليـــل يمضي .. وعبد الحميد الدرويش مات . من السخف أن تستمروا على هذا النحو .. ألن تدعوا عـــدم الاكتراث ؟ لنفعـــل أي شيء . (يدور بينهم مكررا ما فعله مع جاسم .. يدير الرأس باتجاه الزجاج ثم يتركه) حدّق جيدا .. يا رب .. حتى لو لم تر شيئـــا .. فلتسمع الطرقـــات المجنونة . (ومن واحد الى آخر .. وكل رأس ما أن يتركه حتى يعود الى وضعيته الاصلية جامدا مجللا بالعبوس) الطرقات.. أنظر يا سيدي.. لا تكن عنيدا.. وها هم هناك. أترى حشدهم ؟ ابني في مقدمتهم .. وربما كان ابنك خلفه .. ماذا يضيرك لو تحققت مـــن الامر ؟ (يتشقق الزجاج في مكان آخر ...) اسمع .. انـــه

يتشقق .. أتحسب انه أقوى من الحجارة ؟
لن يصمد .. هي لحظات .. نعم لحظات ...
أيها الصديق .. قل ، ألا تسمعها ؟ طق ..
طق .. طق .. الطرقات الملعونة .. (تقف
أذناه) يا الله اسمع .. طق .. طق .. طق ..
كم هي منتظمة !

ظاظة : (عابسا للنادل) يبدو انه أصبح خطيرا ..
أسرع وتصرّف .

النادل : (حزينا جدا) حاضر .. (يمضي الى أنسي ..)

أنسي : (يمسك بيد النادل ، وهو يتصنت) أصغ
جيدا .. طق .. طق .. طق ..

النادل : (بهدوء حزين) نعم .. نعم .. انهم كالثواني ..

أنسي : (مندهشا) والله .. كما أفكر بالضبط ..
واذن لماذا لا يتحركون ؟.. أنظر ، ألا تراهم
هناك يقذفون الحجارة ؟..

النادل : آ .. (هامسا) أراهم .. والبارحة كان دور
أمي .. (واضح الاكتئاب) اني أفهم جيدا
يا سيد أنسي .. في البداية كان الانسان
يصطاد الاسود والفهود ، ثم أصبح يصطاد
الوعول والغزلان ، فالارانب والطيور .. وأخيرا
اقتصر على اصطياد البراغيث وهو جالس على
كرسيه .. وأنا لا أعرف متى مات والدي ..
ولا في أي يوم نحن .. اني أفهم ... الا ان

المعلم ظاظة .. أرجو المعـذرة .. يقـول انك خطير .. (يحمله .. لكن أنسي يقاوم) .

أنسي : ماذا تفعل ؟ أتخدعني ؟.. لا ..

النادل : اهدأ يا سيد أنسي .. اني أستميحك العذر .. تلك فكرة المعلم ظاظة ... أرجوك ساعدنـي قليلا... (يحمله بعنف ، ويسير به ... بينما يلبط أنسي بقدميه .. وكلماته تتناثر) .

أنسي : ليس عادلا .. لنفعـل شيئا .. ستصيبنـي الحجارة .. سنموت .. أتركني ... لقـد متنا .. اننا امـوات .. أيقظهم .. مقهـانا يتهدم .. (فيما يخرجان من الباب الداخلـي الذي خرج منه النعش منذ قليل ... ويستمر ظاظة باحثا عن برغوث يصطاده تتوالى هـذه الكلمة متخافتة حتى يسدل الستار) :

يتهدم ... يتهدم ... يتهدم ... يت

(ستار)

لعبة الدبابيس

ـ مسرحية في فصل واحد ـ

(يرتفع الستار عن مسرح فارغ الا من طاولـــة خشبية مستديرة ، تنهض عليها زجاجة ماء ممتلئة حتى منتصفها وكوب فارغ ، وفنجان قهوة . جوار الطاولة ، كرسي واسع يجلس عليه « شدّود » ، وهو رجل كروي يبلغ قطره حوالي المتر . له ذراعان قصيرتان كأذرع الدمى ولونه أصفر فاقع . على قبـة الكرة رأس مستديرة صغيرة ، يمكن مع التدقيق أن تتبين منها ملامح كلها دقيقة وضيقة . العينان والانف والشفتان ، حتى لكأنها آثار قلم فحمي على سطح كرة ، الاستدارات تنفخ الهيئة بلون مـــن الفخامة الظاهريـــة .

على مؤخرة المسرح اليسارية نرى عـــدة طاولات مرسومة بريشة خشنـــــة . وكذا الكراسي المبعثرة حولها . أما الجانب الايمن من مؤخرة المسرح فتغطيه ستارة لها نفس لون شدّود ـ الاصفر الفاقع ـ فيما عدا ذلك لا يوجد شيء آخر .

بعد ارتفاع الستار يحتسي شدّود بطريقة صاخبة

رشفة من القهوة ، ثم يضع الفنجان ، ويتابع حديثا يوجهه الى جليس لا يظهر ولا تراه النظارة . قد يبدو ذلك مزعجا في البداية .. لكن قليلا .. قليلا يتعود المتفرجون غياب الجليس) .

شدّود : (بفرقعة) قل . أليست خاصية زائعة ، نفر قليل من الكائنات يتمتع بها ؟ ماذا أسميها ؟ قوة روحية غامضة تجعل بعض الناس قادرين على اجتذاب الاصدقاء في غضون لحظات . على كلّ .. تلك احدى ميزاتي التي أفخر بها . لي من الاصدقاء ما لا أعرف عدده .

(من وراء الستار الاصفر ، يتناهى صوت مزدوج لا تنافر فيه .. واسع بلا عمق .. فيه رضى واعجاب وحماسة .. ويشكل خلال الجزء الاول من المسرحية ما يشبه اللازمة التي تؤكد المعنى الطافر منشخصية شدّود وهو يتحدث أبدا الى جليسه الغائب ..) .

الصوت المزدوج : آه .. حقا .. ما أكثر أصدقاءه .

شدّود : (متضاحكا) ولا تحسب انها صداقات سطحية من النوع السائد في أيامنا هذه .. لا .. أنا من الذين يهتمون بالنوعية . أصدقائي لا يغشون في الحب أبدا . (لحظة) ألا تعرف وصية لقمان الحكيم لابنه ؟ روتها لي جدّتي منذ كنت طفلا . رحمها الله كم كانت تحفظ من الامثال والحكايا . (يرشف حسوة قهوة) لقد أوصى لقمان الحكيم ولده بأن يشيد في

كل بلد دارا . وحين استغرب الابن الذي لم يترك له أبوه أي مال قال لقمان : ليكن لك في كل بلد صديق . حكمة مضيئة أليس كذلك ؟ اني أبني حياتي على أساسها . (ينتفخ) لي بيوت في أربعة أطراف الدنيا . في بلاد الافرنج ..

الصوت المزدوج : وفي بلاد الصين .

شدّود : (منتفخا أكثر) حتى في أستراليا .

الصوت المزدوج : وحتى في جزر البحر النائية .

شدّود : قلة قليلة من كائنات هذا العالم تملك تلك القوة الروحية . (يربت بذراعه على كتف الجليس الغائب) نحن مثلا .. هل كنت تتصور اننا سنصبح أصدقاء بهذه السرعة ؟ الناس في العادة يحتاجون الى وقت طويل كي يتآلفوا . (يرتشف من قهوته ، ثم يتجه أعمق الى جليسه الغائب) صحيح ان أحدنا لا يعرف الكثير عن الآخر ، ولكن لا تتضايق أرجوك . اني أكره الحديث عن نفسي . وما يكشف معدن الرجال في رأيي هو فضيلة التواضع قبل كل شيء .

الصوت المزدوج : وما أشد تواضع نفسه . بل اكثر واكثر. انه التواضع بعينه .

شدّود : هؤلاء الذين يسيرون في الشوارع عارضين

اوسمتهم لعيون المارة يثيرون الشفقة حقا ، ان لم نقل الاشمئزاز . (فترة صمت) بالضبط ما قيمة كل هذه القطع المنقوشة ؟ انها حتى لا تحتفظ بنقوشها مقروءة ما لم ينظفها المرء خمس مرات كل يوم .

الصوت المزدوج : وهو أبرع الساخرين من المعدن المنقوش . ولكن أية حكاية يروي ؟!

شدّود : (مفرقعا بما يحاكي الضيق، ثم متصنعا التواضع) أوه .. ذلك ليس خارق الحدوث على أية حال . (يحتسي جرعة ماء ، ويتجه نحو جليسه باهتمام) اسمع .. هذه حادثة قريبة. منذ شهرين أو ثلاثة . لم أعد أذكر بالضبط . حطّ على المقهى الذي أجلس فيه عادة جمع من هذا الطراز. كانوا يفرشون أنوفهم متخيلين أنفسهم آلهة . هذه النماذج تتكاثر يوما بعد يوم . الا تلاحظ ؟.. المهم بدأت أراقبهم . أعوذ بالله من الشيطان الرجيم .. أعترف لك اني لم أستطع الاحتمال ، بعد لحظات قصيرة بدأت أعصابي تحتقن ، واحمرت عيناي . (يبتسم) ماذا تظنني فعلت ؟

الصوت المزدوج : ما يفعله الرجال في كل زمان .

شدّود : أجل قفزت اليهم .. وباحتقار شديد قلت لهم: أنتم عوانس ! (يتضاحك) مساكين لم يحسنوا اختيار الجواب .. لقد صخبوا محاولين رد

الاهـــانة بالقبضات . أي غباء ؟! وانقضضت عليهم .. كنت أمسك واحدهم مـــن ساقيه وانهال به على الآخرين . أشتهي الآن لو كنت موجودا . منظر طريف بشكـــل لا تتصوره . كوّمتهم واحدا فوق الآخر ، ثم بصقت عـلى هامتهم .

الصوت المزدوج : وانفجر رواد المقهـى ضاحكين .. وتناثر المعدن المنقوش على التراب ، تدوسه الاحذية .

شدّود : لأقل لك بصراحة . منذ طفولتي وأنا أشمئز من الاعوجاج . حـــين لا أرى الامور مستقيمـة يستحيل عليّ أن أصمت . طبعا .. طبعا .. واجهت كثيرا من المخاطر ثمنا لهذه الحساسية. (يحتسي جرعـــة ماء) الحـديث يجرّ الـى الحديث يا صديقي . تحضرني الآن حادثة من أيام الصبا . (متضاحكا) تلك كـــانت أياما حافلة بالفعل .

الصوت المزدوج : اصغ يا جليسه اصغ .. فالشجاعة أندر من عمر المائة .

شدّود : هل تعـرف حي الشرباصيين ؟ أعتقـــد انك تعرفه . كان أشهر أحياء المدينة . ففيه أجمل النســـاء وأقسى الرجال . هل ولدت هنا ؟ لا بد انك سمعت بعض القصص عـــن قساوة الشرباصيين لم يكن ابن امرأة يجرؤ عـــلى اغضاب واحـد منهم . تخيل .. حتى عيواظ

نفسه .. الحاكم الذي شيّب الاجنة في البطون كان يرهب جانبهم ، ويحرص علـى رضاهم . آه .. أذكـر الآن أمي رحمهـــا الله ، وهي تستحلفني كل يوم بالابتعاد عنهـم ، وتحاشي حيهم .. وكم رمّلوا نساء ، وثكلوا أمهات . لن أقــول انني كنت أظن ولو توهما حـدوث ما حدث ، لكن ـ كما يقولون ـ (يتضاحك) الحب أعمى. كنت آنذاك في مستهلّ الشباب، وكانت نادرة بنت وجيـه الشرباصيين يضرب بجمالها الامثال. أوه .. شيء ممتع أن يستعيد المرء بين حين وآخر بعض ذكرياته البهيجة ، أليس كذلك ؟ (لحظة) تصوّر يا صديقي .. كانت نظرة .. نظرة عـابرة كافية لاشتعـــال جوانحنا بالحب . في فترة الصبا (متضاحكا) لا تعرف متى يخفق القلب . فاذا خفق نسيت كل المخاطر والمحاذير . كنت أعــلم جيدا ان الشرباصي يذبح بنته ولا يزوجها لغريب ومع هذا لم نكترث اطلاقا .. وسريعا ما شاع حبنا بين الناس ، فبدأ أهلهـــا يعذبونها وينكدون عيشها . (يتنهد) كنت أضبط أعصابي عـلى مضض . ولكـــن .. في يوم .. سمعت ان والدها ظل يضربها حتى نفر الدم من وجهها.. يا الله لا أدري ماذا أصابني . (باهتمام أعمق) وحق العليّ القدير لم أنتبـه لنفسي ، الا وأنا أمام دارهم أصرخ : أخرجوا يا أشباه الرجال..

يا فئران .. وبعد تردد خرج الاب والاخوة .
(تنفر ملامحه ويتسع صوته في انتفاخ متزايد)
ثم انضم اليهم الجيران .. ومن بلغت مسامعه
الصرخات ، فأربوا على الخمسين .. وأنا في
مواجهتهم وحيد لا معين لي سوى عصاي .
وكانت يا صديقي معركة .

الصوت المزدوج : وأية معركة ؟ الرجال يتساقطون كالذباب.
والدماء تسيل كالامطار . وهو بينهم يجول
ويصول كظل الموت ذاته .

شدّود : (في غاية الانشراح) فعلا لولا شرطة عيواظ
ما علم سوى الباري ماذا كان حلّ بهم . فيما
بعد قيل ان الجرحى أكثر من ثلاثين . وواحد
فقد عقله الى الابد (بعد أن يوشك على التوقف،
يستطرد بحماس أكثر وسط الضحك ، مادّاً
ذراعه فوق الطاولة وكأنه يمسك بيد الجليس
ليثير انتباهه) لكن اسمع .. الطريف في
القصة ان عيواظ ، حين مثلت بين يديه ، أراد
اهانتي ورفع يده ليصفعني .. (يتهدج في
الضحك) أما منظر .. بأسرع من البرق
التقطت يده ، ولويتها صارخا بصوت لا يهاب :
وحق المصطفى أجعلها هشيما . (يتضاحك)
فماذا تحسبه فعل ؟ (يدني رأسه من الجليس.
يخفض صوته) لقد ابتسم وقال : أحب
الرجال ! وبعد يومين فقط كنت طليقا رغم

احتجاجات الشرباصيين الـــذين أذلوا حتى المهانة . (يصبّ قدحا من الماء يحتسيه دفعة واحدة . ثم بعد فترة) دنيا يا صديقي فيهـا الكثيـر .. (بحيوية متجددة) صحيح انني أقـاتل بعنف وأجرح اذا ضربت . لكن لديّ بعد نظر يحميني مـن الحماقات . اني أحسب الاشياء بدقة . في طفولتي كنت أحسب فـي ثوان عملية ضرب بالآلاف . (يتضاحك) هـل جرّبت يوما حل مسألة « حربا » ؟.. كـانت معضلة زماننا . ما زلت الـى الآن أذكرها .. (يسرع صوته) اذا كانت حربا تلبس فستانا له سبعة جيوب ، وفي كل جيب سبعة اكياس ، وفي كل كيس سبع علب كبريت ، وفي كـل علبة سبعة أعواد .. فكم عـــودا معها ؟ هل تذكرتها ؟ ليست سهـــلة . كنت لا أتجـاوز السابعة عندما راهن والدي أحد أصدقائه فيما اذا كنت استطيع حلها .

الصوت المزدوج : وفي لحظـات عرف الصبي الجواب .. واندهش الجميع حتى جرت مثلا في المدينة .

شدّود : (بعد لحظة في تظاهر بالتواضع) القصـد ان التفكير واجب . والناس في أيامنا هـذه قلّما يفكرون . لذلك ترى حيـاة كل منهم سلسـلة لا تنقطع من المآزق والمتاعب .

(في هذه اللحظة يدخل برهوم من اليمين .. وهـو

شاب نحيل غامق السمرة يميزه وجه شاحب مبلوع الخدين ، تضيئه عينان تشعان بخبث قديم ، ونزق شبه مستهتر . يبدو لاهيا لا همّ يقلقه .. يهم بالصغير لولا انه يرى « شدود » فتتسع عيناه ، ويلتمع خبثهما . وبعد هنيهة يقترب منه ، بينما هذا يتابع كلامه) .

شدّود : ويأتيك الواحد بعد أن يكون قد ارتكب ألف حماقة طالبا مساعدتك .. من الذي يستطيع أن يقسو عليهم ؟ اللهم اني مسامح . (يقف برهوم وراء شدّود ويتأمله) صدقني لا أذكر كم أسديت من العون ، وكم ساعدت .. (يتوقف لحظة ، ثم ينفجر مقهقها ، ويكرر حركة الربت على كتف الجليس الغائب .. متوددا) صحيح يا صديقي انك لا تعرف الكثير عني .. وكما قلت لك .. أكره الحديث عن نفسي .. لكن ..

(يحسّ برهوم كتف شدود بطرف سبابته ، فينبعث صوت شبيه بالزقزقة)

شدود : (يلتفت مندهشا .. ينظر الى برهوم بامتعاض وقسوة) ماذا تريد يا هذا ؟.. أتطلب صدقة ؟ (الى الجليس) أف .. كيفما اتجهت لا تلتقي الا المتسولين .

برهوم : (يحسّه من جديد . ينبعث الصوت المزقزق ، فيغمغم) والله مدهش ..

شدّود : (مغتاظا ، بصوت مرتفع) قلت ما تريد يا هذا ؟

برهوم : (يتراجع خطوة ، تطوق شفتيه ابتسامة لا يكاد يبين معناها) حقا .. انه لمدهش .. (يغريه الاقتراب ، ويمد يده ليحسّ الجسم الكروي)

شدّود : (بلغ به الغضب أشده ، يلقي كرسيه الى الوراء ، هادرا) ما هذه السخافة ؟..

برهوم : (يتراجع مبتسما) لا تغضب أيها السيد .. مسألة تكوين شخصي لا أكثر .. (لحظة) اني أحب اللعب . تقريبا هذا كل شيء . (يتسارع صوته بحيوية فيما تنمو ابتسامته) تروي أمي . انني لا أؤكد شيئا بهذا الشأن . تلك روايتها ، وقد كررتها ملايين المرات قبل أن تموت . (تنبسط الابتسامة التي لا تشفّ عن معنى واضح) تروي انني في اللحظة التي ولدت فيها قفزت على الارض وجريت خلف قطة صغيرة ، ثم أمسكتها وربطت ذنبها الى ذيل فستان المولّدة ، فذعر الجميع ذعرا شديدا . (يتغير اتجاه اللهجة) بالنسبة لي وجدت الحكاية فيما بعد مضحكة للغاية (لحظة) كما ترى .. اننا تقريبا (تطوف على شفتيه الابتسامة الغامضة) لا نستطيع الهرب من بداياتنا . كل شيء يبقى ويستمر معنا .. (تختلط بالبسمة نظرة الاهتمام الاولى .. يقترب من شدّود .. يحاول أن يتحسسه ، فيتوفز الآخر) ولكن هذا مدهش .. مدهش

أكثر مما يتصور الذين يجرّون وجودا هـزيلا شاحبا مثلي . ان أشباهي يثيرون الشفقة . (كأنه سيهمّ بالبكاء) يثيرون الشفقة الى أبعد حد (يستغل المـوقف فيقترب منه أكثر ، يلمس شدّود فيجفل ، ويتراجع خطوات الى الوراء) .

شدّود : (مستعيدا نفسه) اسمع يا هذا . لقد رأيت من قبل كثيرا من الصعاليك أمثالك ، وانـي خير من يحسن التصرف معهم .

الصوت المزدوج : (كالصدى) آه .. حقا .. انه خير من يحسن التصرف معهم .

برهوم : (التفاتة قصيرة ، ثم بابتسامته الملعونة) يقينا أنت تحسن التصرف معهم (لحظة) لتبلعنـي الارض اذا كنت أشكّ في ذلك لحظة واحدة .

شدّود : (منتفخا ، وقد تغلّب على اضطرابه) ما أسهل أن أعجنك بالتـراب ، وأخبزك في جهنم .. ذلك حتى لا يكلفني أن أستخدم الا اصبعين من اصابع يدي . (بازدراء) لقد رأيت كثيرا من امثالك .

برهوم : (اللهجة نفسها ، والابتسامة نفسها) أنت قادر على ذلك (يقترب) ولكن لماذا ؟.. (من خلال الابتسامة ، تتخـذ ملامحه هيئـة الشهيد) لأعترف .. هذا يحـدث دائما . ليس مـن

السهل تقريبا أن يحب المرء اللعب ، ثم أن يحترفه بعد ذلك . وضع كهذا يقود الى سلسلة لا تنتهي من عدم التفاهم . (لحظة .. تزداد هيئة الشهيد بروزا) نعم .. لقد احترفته . بالطبع ظل الامر هواية لفترة طويلة ، الا انه انقلب بعدئذ كما يحدث دائما .. حرفة شاقة. في عالم عابس ، اللعب عسير للغاية .

شدّود : (ممتعضا) هـ .. الالتقاء بأمثالك يثير الاعصاب .

برهوم : (تسود الابتسامة وجهه) تقريبا أنا لا أخالفك الرأي .. الآخرون أيضا لا يستسيغون كثيرا الوجودات الهزيلة الصفراء . لنعترف .. ان الحجوم مسألة تحتل ركنا بارزا في عالم اليوم. (لحظة) وقد بدأ يعسر ارضاؤهم . في الماضي كان يكفي أن يفتل المرء بيد رشيقة مشعلا صغيرا حتى تثور دهشتهم . أما الآن فلا بد أن تبلع الشعلة وتبصقها شريطا من نار حتى تحقق لهم بعض السرور . نعم .. مثل هذا الشيء بداية الحفلة .. ثم يأتي الجري على الحبل والنوم على فراش المسامير ، واختراق الخدود بالابر الطويلة (يعرض ابرة طويلة كالتي تستعمل في اعداد المراتب والاغطية .. الابتسامة تزداد تخايلا) استعراض متعب أه .. كل ذلك لامتاعهم (بجدية) أحيانا أشعر انه

لا يوجد في نفوسهم وهم يتابعون العابي ، الا القسوة والرغبات الشاذة . (فرحا) على كلّ .. اليوم منحت نفسي اجازة . يستحق المرء هذا بين حين وحين . أريد أن ألعب لحسابي . آه .. منذ الصباح ، أحسّ العالم فسيحا . طعم اللعب يختلف حينما يكون لحسابك الخاص . (يقترب من شدود) .

شدّود : (متبرما) أما سخافة فعلا . (يخالط التبرم ما يشبه الخوف) ابتعد عني .

برهوم : (الابتسامة ذاتها) من المحزن أن تعاملني وكأنني مصاب بالجرب .. (لحظة) أنا لا أنكر اني أصبت به . غير ان ذلك كان منذ زمن بعيد للغاية . (يزداد اقترابا ، فيما يبتعد شدود غريزيا) .

شدّود : (محنقا) أيها البعوضة لسوف أجعلك ترابا .

برهوم : (لا تبرح الابتسامة شفتيه) أتفعل ذلك في اليوم الوحيد الذي نذرته لقليل من المتعة ؟ تقريبا أنت قاس أيها السيد (يمد يده بحركة مباغتة ، فيتحسسه . يجفل شدود متراجعا أكثر) .

شدّود : (الخوف يتوضح) أيها البرغوث .. قلت لك لا تقترب مني ..

برهوم : لا .. ليس من العدل أن تحنّط وجهك خلف

هذا القناع الصارم الجاد .. (تتسع الابتسامة) لا تستطيع الزعم بأن اللعب سلوك مجرد من الاصالة . (الابتسامة بدء ضحكة) حقا .. لا أعرف كيف يفكر الناس عادة . ولكن بالنسبة لي .. أول ما ولدت .. تماما هكذا روت والدتي ، وأيدتها خالتي أيضا .. أول ما ولدت انخرطت في اللعب ، ثم لم أكفّ بعد ذلك . (يقترب منه ، تصبح حركتهما نوعا من المداورة) طبعا من الغباء والوقاحة أن أظن للحظة انك خائف .

شدّود : (يتماسك . انه في أقصى حالات الضيق والاضطراب) خائف ؟

برهوم : أعوذ بالله . ذلك ما لا أسمح له بعبور رأسي (برهة) أظن فقط ان العملية لم تكن على درجة كافية من الامتاع . لا أستطيع أن ألومك لو كان هذا رأيك . (لحظة وتتمدد الابتسامة) طيب .. لنجرب شيئا .. أن يتعود الانسان اللعب لمسرة الآخرين ، ذلك لا ينسى حتى في يوم الاجازة . ولكن من المؤسف أنني لا أحمل تجهيزاتي . مع هذا .. لنجرب . أنظر أيها السيد جيدا . (يعرض الابرة لشدّود) انها ابرة طويلة كما ترى . ولها رأس حاد . واذا وخزت صغيرا فسيصرخ من الالم .. لا .. على الاقل سأريح نفسي من الاسلوب

الاستعراضي ، وسأبدا .. (يفتح فمه ، يدلك خده الايمن قليـــلا ، ثم يغرس الابرة فيــه ، ويسحبها من الداخل حتى تنفذ كلها . شدّود يراقبه بقشعريرة حذرة) أترى جيدا ؟ ماذا ؟ ليس مثيرا . من حسن الحظ ان هناك ما يفعل أيضا . (يخرج مـــن جيبه بضع ابر أخرى ، ويغرسها في جبهته حتى يكوّن منها ما يشبه راقية القبعة . قشعريرة شدّود تزداد ، وقد تصلبت نظراته عليه) هذه أصعب قليلا . لكن سأكون صادقا . ليست الصعوبة كما تتخيلها. (يقترب منه) يمكنك أن تجسّ متانة الانغراز. (يتراجع شدّود بخوف واضح) لا تريد . كما تشاء . سأتابع ما بدأت . (يخرج من جيبـــه ابرة أخرى) ربما كانت هـــذه مبهجة قليلا . (يغرس الابرة في راحـــة يده دون أن تفـــارق ثغـــره الابتسامة ، شدّود محرور العينيـــن بالذعر والدهشة والاضطراب) لقد اختفـــى ثلثها في اليد . (يريه كفه التي انتصبت فيها الابرة) أترى جيدا ؟ (يغرس الابرة اكثر حتى يبين طرفها من ظاهر كفه) والآن افتح عينيك. ها هي الابرة تخترق اليد كما لو كانت طفلة في زحام . لنسحب قليلا . قليلا . قليلا . (تخرج من الطرف الثـــاني) آه .. انتزعت كلهـــا . (تطوف الابتسامة عنيـــدة) كيف وجدتها ؟ (يكرر الحركة بسرعة مرتين) هذه مختلفـــة

قليلا (الابتسامة تنبسط ، مقتربا منه) أتجرب؟ حاول مرة على الاقل .

شدّود : لا .. لا .. اياك أن تلمسني .

برهوم : (يداوره) جفاؤك مخيب (يجدّ في ادراكه فتتلاهث حركة شدّود التي تبدو مضحكة . يدوران على المسرح) .

شدّود : أقول لك ابتعد عني

برهوم : لست لطيفا .

شدود : اياك .

برهوم : هو .. هو ..

(الحوار مختلط وكذلك الحركات .)

(يضحك مستمرا في تحسسه . تتسارع الحركة أكثر ، وتظهر الابرة في يد برهوم لامعة) .

شدود : (يلمحها فيأكله الرعب) ما هذا ؟ أيها المحتال.. لو ... (يخاتله برهوم بغرزة من ابرته .. صراخ .. فمواء .. فانفجار .. ينطفىء النور بينما تتماوج ضحكة صافية غامرة . لحظات وينسلّ الضوء الى المسرح . بقايا الضحكة تتلامح على وجه برهوم ، بينما انتشر على المسرح نثار مختلط تافه لا يكشف عن شيء . الآن .. بهجمة مباغتة ، ينقضّ من وراءالستار

البرتقالي رجلان أحدهما وهو «التابعي» قصير مفرط الاناقة ، له عينان مائعتان وشعر مدهون بالزيوت ، حركاته مدروسة لا اثر للارتجال فيها . والثاني « البيشاني » ، طويل بالنسبة للاول ، ممتلىء .. يضع نظارات طبية سميكة، ولا يميز وجهه الا تعبير الميوعة المتراكم في عيني الآخر . حين ينقضان من خلف الستار بهذه الصورة المباغتة ، تبدو ملامحهما متفجرة بالغضب والحزن والالم .. واذ يبلغان وسط المسرح يجيلان حولهما النظر ، ثم يخوران بالعذاب ، وينهالان على برهوم ضربا وركلا) .

برهوم : (تيبست ضحكته خلف الدهشة والذهول) ماذا دهاكما ؟ (خوار العذاب) آه .. بحق الله ماذا يحدث ؟..

(يستغل مرونة جسمه ، وينسلّ من بينهما . يتوقفان لاهثين ومظاهر الكرب تتغلغل في وجهيهما .. فجأة ينقضان عليه من جديد) .

برهوم : (بعنف) ولكن ماذا يحدث ؟..
(ينسلّ من بينهما ثانية) .

التابعي : (لزميله) ويسأل عما يحدث ؟..

البيشاني : (يلهث مغتما) كأنه لا يعرف ماذا يحدث ..

التابعي : نعم .. كأنه لا يعرف ماذا يحدث .. (يرمق

الحطام) آه .. والآن مـــاذا يمكننا أن نفعل ؟
(تختبط عيناه ، يهجم عــلى برهوم ، يتـــلوه
البيشاني .. ينهالان عليه ضربا ورفسا) .

برهوم : (مجاهدا في التخلص منهما) لا يصح ذلك .
أية وحشية ؟ كيف تسمحان لنفسيكما بالاعتداء
على الآخرين (بسخط وانفعال يتابعان الضرب.
بعد لأي ينجح برهوم في الخلاص) .

برهوم : (بهيئة احتجاج عنيفة ، وقد جرحت زاوية فمه
اليمنى ، وسال منها خيط دم) اسمعـــا أيها
المتوحشان ، أتظنان اننا في غابـــة بلا قانون ؟
أنا لا أقبل أن أضرب بلا سبب .

التابعي : (وكأنه سينفجر) شيء جميل . ما زال يسأل
عن السبب .

البيشاني : نعم .. ما زال يسأل عــن السبب . (برهة)
انه يتغابى .

التابعي : عابث لئيم . (لرفيقه) هذه نكبة .. بل كارثة
رهيبة . اشعر وكأني ضائع .

البيشاني : (متابعا التهدج الحزين) وستهجـــم الوحـدة
باردة .

التابعي : والفراغ ...

البيشاني : والذباب والضجر ..

التابعي : (بحزن شديد) آه .. لنذرف الدمع السخين يا رفيقي، ولنندب تعاستنا حتى تملّ الاسماع نحيبنا .

البيشاني : نعم .. أغزر الدموع وأحرّها ، فنحن أحق الناس بالبكاء (ينخرطان في بكاء حقيقي) .

برهوم : (مشدوها) ما أعجب ما يصادف الانسان حين يقرر اللعب لحسابه !

التابعي : (عبر شهيقه) علام سنعيش الآن ؟..

البيشاني : وماذا سنفعل ؟.. (تحمرّ عيناه ويرتعش وجهه فيغير على برهوم) .

برهوم : (متراجعا ومداورا) لا .. باسم قانوننا المسنّ أحتج . لن أتلقى ضربة واحدة قبل أن أعرف السبب .

التابعي : (غاصا بعبراته) أتحرمنا مبرر وجودنا ، ثم تتساءل أيضا عن السبب .. آه يا بيشاني .. من كان ينتظر مصيبة كهذه ؟..

برهوم : (نادما) ولكن أقسم ، سوف أمرض لو تيقنت انني سبب هذه الآلام . (ظلّ ابتسامة) أنا انسان يحب اللعب .

البيشاني : (لرفيقه في غمزة كئيبة ومضحكة) يحب اللعب .

برهوم : انها الحقيقة . منذ ولدت وأنا أحب اللعب .

البيشاني : (صارخا) ونحن ؟ ماذا بقي لنا ؟

التابعي : (صارخا) وعلام نرسي وجودنا المضطرب ؟

(يترامقان ثم ينخرطان في البكاء من جديد . يدخل في هذه اللحظة رجل في حوالي الاربعين . هادىء القسمات مطمئن النظرات . ينفخ بشغف بالونا أحمر . البالون يتسع ، والرجل يعبر المسرح بخطوات وئيدة . التابعي والبيشاني ينسيان نفسيهما ، ويراقبانه باهتمام متشه وحاسد . ان عيونهما تسيل رغبة وتكاد تعدو خلفه كحيوانات جائعة ، مسعورة) .

البيشاني : (حالما) ما أسعده !

التابعي : (حالما) ما أسعده !

برهوم : (كأنه يمزح .. دون اهتمام) ما أسعده .

البيشاني : (بعد لحظة) انه ينفخ .

التابعي : انه ينفخ .

البيشاني : ويتسع البالون . (برهوم يراقبهما باهتمام وعجب) .

التابعي : يتسع . ويتسع . آه . ماذا ينتظرنا بعد ؟

برهوم : (تبرق عيناه فجأة ، فيما يخرج الرجل وبالونه الاحمر) آه .. أكاد أقول فهمت . (يومىء بحركات غامضة تجمع الكرسي الفارغ وما وراء الستار ، وحركة النفخ) أكنتما اذن ؟

البيشاني : نعم .. نعم ..

التابعي : (مغتاظا) هل فهمت الآن ؟

برهوم : آه .. لم يخطر ببالي .

البيشاني : لعنة الله على بالك .

التابعي : لعنة الله على بالك .

برهوم : لا ألومكما .. لعنة الله على بالي .

البيشاني : ولكن ماذا سنفعل الآن ؟..

التابعي : حقا ماذا سنفعل الآن ؟..

برهوم : هو ذا السؤال الشاق .

البيشاني : ومع هذا ، لا بد من طلب الجواب .

التابعي : من كان يتوقع مأزقا كئيبا كهذا ؟..

البيشاني : (بعنف يائس) أيها الصعلوك .. ماذا نفعل ؟

برهوم : (مهتزا) أجل .. أجل .. هـــذا ما ينبغـي التفكـــير به . (في حزن) اللاعبون تنقصهم المهارة في التفكير .. لكن ينبغـي أن نحاول . هذا عدل . لنفكر يا صديقيّ .. (يتجول على المسرح في غدو ورواح متدبر) .

التابعي : (لرفيقه) ما الفائدة ؟.. لنحاول.. لن نستسلم سريعا . دعنا نقلب الافكـار . (يحذوان حذو برهوم . الثلاثة يروحون ويجيئون متخذيـــن هيئات المفكرين) .

برهوم : (بعد دقيقة ، تلتمع عيناه ، ويرفع اصبعه) وجدتها .. وجدتها . اني أفكر .. لماذا لا تلعبان ؟

البيشاني والتابعي : (بعد لحظة .. معا) نلعب ! أوه .. اللعب (امتعاض على الوجه وحركات يدوية علامة الرفض والازدراء) فكرة سقيمة . اننا نكره اللعب .

برهوم : (مخيبا) تكرهان اللعب . حسن .. اذن لنفكر من جديد .

(يوالي الثلاثة محاولاتهم التفكيرية) .

برهوم : (بعد دقيقة . بنفس لهجة الظفر الاولى) وجدتها .. وجدتها .. أقول لماذا لا تصبحان مغامرين ؟

البيشاني والتابعي : (بعد لحظة معا) نغامر ! أوه .. المغامرة (امتعاض على الوجه وحركات يدوية علامة الرفض والازدراء) فكرة سقيمة .. اننا لا نستطيع المغامرة .

برهوم : (مخيبا) لا تستطيعان المغامرة . حسن .. اذن لنفكر من جديد ..

(يوالي الثلاثة محاولاتهم التفكيرية) .

برهوم : (بعد دقيقة ونصف .. مظفر اللهجة) وجدتها .. وجدتها .. أقول .. لماذا لا تعملان

في صناعة التاريخ . (مبتسما) هي صناعة رائجة ومليئة بالاحداث .

البيشاني والتابعي : (بعد لحظة .. معا) نصنع التاريخ ! أوه .. التاريخ (امتعاض على الوجه وحركات يدوية علامة الرفض والازدراء) فكرة سقيمة . اننا لا نفهم التاريخ .

برهوم : (مخيبا) لا تفهمان التاريخ .. حسن .. اذن .. لنفكر من جديد ..
(يوالي الثلاثة محاولاتهم التفكيرية) .

برهوم : (بعد دقيقتين .. مظفر اللهجة) وجدتها .. وجدتها .. أقول لماذا لا تتدربان على الزهد ؟ (مبتهجا) يخيل الي ان ذلك ممتع .

البيشاني والتابعي : (بعد لحظة .. معا) نتدرب على الزهد ! أوه .. الزهد (امتعاض على الوجه ، وحركات يدوية علامة الرفض والازدراء) فكرة سقيمة .. اننا نحتقر الزهد .

برهوم : (مخيبا) تحتقران الزهد .. حسن .. لنفكر اذن في شيء آخر .

(لكنه يشعر بالتعب فينهار على الكرسي الذي كان يشغله شدّود في بداية المنظر . يستمر الآخران في التجوال . بعد قليل ، يتوقف البيشاني رامقا برهوم بنظر ثابت .. يغتبط وجهه ، وتتهلل أساريره . يستوقف التابعي غامزا بعينه نحو الكرسي) .

البيشاني : الوضعية ذاتها ..

التابعي : (مصعوقا بالفكرة) والله صحيح .. هذه حقيقة . (برهوم ينقل بصره بينهما حائرا لا يكاد يفهم ما يحدث . يقترب البيشاني منه ويتحسسه بود) .

التابعي : (عيناه تتألقان) ما أشد نحوله !

البيشاني : سيكون ذلك مثيرا ..

برهوم : ما معنى هذا ؟..

البيشاني : (متملقا باغتباط) آه .. تريث يا سيدي .. تريث . انها العناية الالهية .

برهوم : العناية الالهية ؟!

البيشاني والتابعي : نعم .. نعم .. العناية الالهية ، ولكن اياك أن تتحرك ..
(يركضان الى ما وراء الستار الاصفر الفاقع)

برهوم : (مندهشا ، يبيس على كرسيه) ولكن .. ماذا ؟.. (يشعر بالامتلاء .. يصرخ) ولكن .. (يبدأ جسده بالانتفاخ .. يصرخ) ولكن .. (تدريجيا يبدأ تغيره .. يلقي حوله بضع نظرات حائرة .. ثم يهدأ .. يربت بيده على الطرف الثاني من الطاولة .. وكأنه يحدث جليسا معه) أترى ؟.. بأسرع مما تتصور .. لا .. اني أكره الحديث عن نفسي ..

صوت مزدوج : (من وراء الستار تواكبه ضحكات طفولية متحمسة تطمس الكلمات) از .. ديث .. عن .. سه ..

(ستار)

https://twitter.com/kotobmamno3a تصوير

فصد الدم

(كتبت هذه المسرحية في نهاية عام ١٩٦٣ .

كان الوطن العربي ممزقا . أنظمته الوطنية تتذابح بعضها مع بعض بشراسة أشد من صدامها مع الانظمة اللاوطنية ..

كانت الاذاعات تتشاتم ، وتتسابق على تخديرنا بأغاني « العودة » تبشر بها أصوات المغنين الجهورية ، ويخبرنا بها « العندليب » ، والدوري ، وعصفورة الوادي.

في تلك الفترة ، كان ميلاد المقاومة حلما ، وأمنية شبه يائسة ..

وكنت أتصور ان ميلادها لن يتم الا اذا بتر كل فلسطيني بخاصة ، وكل عربي بعامة نصفه المعطوب . نصفه المشلول بالارهام والاكاذيب والخوف ..

باختصار .. كان على كل منا أن يفصد دمه كي تنطلق الشرارة .. وتولد المقاومة .

اقول كان .. لكن ، وبعد أن ولدت المقاومة ، هل يمكن أن تستمر « المقاومة » بمعناها الشامل وأن تتواصل الا اذا واصل كل منا فصد ما فسد من دمه ، وما تخثر ؟

انها عملية كل يوم.. وهي تزداد الآن الحاحا اذا أردنا أن يتحرك التاريخ الى الامام ، لا أن يستنقع في المذابح والانتكاسات والهزائم .

في عام ١٩٦٣ كتبت أحلم . وما زال الحلم درسا وضرورة) .

(المسرح أرض دائرية تتناثر عليها كومات من الرماد ، والعيدان اليابسة ، والنفايات . في اليسار جدار واطىء .. متعرج قليلا ، ومهدم في المقدمة حيث تتبعثر أحجاره تاركة فجوة عبور الى الخارج .

دائرية المسرح تعطي مع توالي الاحداث الرتيبة الاحساس بحلبة دائرة ومدوخة ...

مع انسكاب حزم الضوء نرى جماعة من شيوخ ونساء وأطفال تفتعد الارض قرب الجدار .. سحنهم متداعية ، وعيونهم جاحظة مطفأة .. وفي جلستهم انسجام خاص يتيح لهم تمثيل التعبير الجمعي المتماثل . الاطفال لا يحطمون الانسجام ، بل يزيدونه شدة من خلال اللمحات الشائخة التي تتوسد وجوههم . ورغم انهم ينكتون الارض بأصابعهم ، الا ان ذلك لا يشابه عبث الاطفال، ولا يعدو بعدا عميقا للوجوم الذي يسيطر عليهم .

.. بعد فترة وجيزة تكفي لاحساس واستيعاب الجو العام يدخل عليوة من اليمين .. وهو شاب

في حوالي السابعة والعشرين ، متهدل ، يوحي منظره بشيخوخة حقيقية ، وينمّ وجهه المتغضن وذقنه الطويلة وعيناه الذكيتان عن انهيار ساخر ومدرك . ثيابه مشعثة مهترئة كالمزق . يحمل في يده اليمنى زجاجة خمر مليئة تقريبا ، وفي مشيته بعض الترنح ..

.. يتقدم عليوة .. يتلكأ .. يدور بمزيج من الحيرة والخوف وانتشاء الخدر . تطوف في الجو موسيقى جنائزية حزينة كترنمات انحادي المتوحد في بهيم الليل الصحراوي .

بعد لحظات يكرع جرعة خمر ، ثم يخرج من اليسار مختفيا .

.. يهز مسنّ رأسه ، يتلوه آخر ، فآخر ، فامرأة ، ففتاة ، فطفل ، فطفل ثان... تتم الحركة بتتابع متناسق موحية بأقسى أنواع الخواء الحزين.

يمر وقت قصير ، ثم يدخل علي من اليمين.. وهو شاب في حوالي السابعة والعشرين . للوهلة الاولى يحسب المتفرج انه عليوة نفسه . فله قامته ، وملامحه ، ويرتدي الثياب المهترئة ذاتها . لكن عندما يمعن المرء النظر تتكشف الفروق الجوهرية ، فهو متماسك ، يوحي منظره بصلابة حقيقية لا تفسدها سمة التردد التي تغالب قسوة وجهه ، وصرامة عينيه الحازمتين .. في خطواته الواثقة نسغ انتفاض كاليقظة .

يتقدم علي ، يدور باحثا بالحاح ، ثم يخرج من اليسار .

.. يهز مسنّ رأسه ، يتلوه آخر ، فآخر ،

فامرأة ، ففتاة ، فطفل ، فطفل ثان ... تتم الحركة بتتابع متناسق ، موحية باقسى أنواع الخواء الحزين ...
بعد فترة تكفي لتعبئة الحسّ بالوحشة .. يدخل عليوة من اليمين جارا هيئته الذكية .. المتساقطة) .

عليوة : من يعلم ماذا أصابه ؟ (يمطّ شفته السفلى بحيرة وازدراء . ثم يرفع الزجاجة الى فمه فيحتسي جرعة كبيرة . يمسح ذقنه وشفتيه بظاهر كفّه اليسرى متنفخا بانتشاء) يا له من غبي مأفون ! ان اقتلاع الجبال أسهل من اقتلاع غبائه . مسألة وراثية بحتة . (يضحك) يبدو ان الامراض لا تنقرض . تلك حقيقة ضخمة لكارثتنا . (تسهم عيناه فيما يردد بخوائية متنامية) كارثتنا .. كارثتنا .. كارثتنا ..

(تجترّ الجماعة حركة هز الرؤوس المتتابعة الموحية بأقسى أنواع الخواء الحزين . يدور عليوة في مكانه .. يحدق الى الجماعة المركومة جوار الحائط) .

عليوة : (بدون اكتراث) هِ .. أنتم .. ماذا تفعلون ؟ (تفغر الجماعة عيونها المتآكلة ، ولا ينطق أحد بحرف) سؤال تافه أليس كذلك ؟ حقا . فماذا يمكن للمشردين والمسرّحين من الوجود أن يصنعوا ؟ (تبرق عيناه) لا .. ربما كان ذلك صحيحا في بعض اللحظات . لكن ما أن تلسع

هذه النار المقدسة لسان المرء وحلقه حتـــى يشعر فجأة ان الوجود كله يصخب في داخله. (يحزن صوته) ويبتعد كل شيء . ينزلق الى فجوة عتم وكأنه الكابوس البعيد . (يتمايل) أتجربون ؟

(تجترّ الجماعة حركة هز الرؤوس المتتـــابعة الموحية بأقسى انواع الخواء الحزين) .

أنتم مثله ؟ (يقفز في المكان) يا للشيطان ! انه يبحث عني الآن . اسمعوا .. كان يتلامح في عينيه لمعـــان غريب متوحش .. وكان ينتشر على قسماته تصميم مفزع .. لا أعرف ما الذي ركبه ؟ فات وقت طويل .. آه .. يا لعذابي ! دائما في مواجهتي . أراه في مرآتي ، فـــي خلوتي ، في لحظات حزني . يُربض صامتـــا كالسهوب المهجـــورة . وعينـــاه القنفذيتان مغروزتان فـــي صميمي . (يقشعر وجهه) ليس بوسع أيمنكم أن يدعي القدرة علىاحتمال تلك النظرة الواجمة كسلك الزمان .. كلمـــة غامضة ؟ لعلها .. النار المقدسة يا صحاب .. النار المقدسة . ماذا كنت أقول ؟ (يحكّ جبينه مفكرا) نعم .. نعم .. تلك النظرة .. السلك الذي يتزحلق عليه زماننا كله . زمان فاسق ؟ من لا يدرك ذلك ؟ بيد ان الاتهام الصـــامت ، هذا التعذيب المستمر الذي ينفجر في الداخل، عينا هابيل تحاصران قابيل.. اف ! (يظهر على

وجهه تعبير عذاب حقيقي ، فيتوقف محتسيا من زجاجته .. بعد لحظة صمت ، بهدوء عميق) قابيل اغتال هابيل . أما أنا فالذكاء هو اداتي الوحيدة .

(يسمع وقع أقدام خارج المسرح فيرتجف عليوة مذعورا) ها هو .. انه قادم . (يندفع بحركة غريزية الى الفرار ، لكنه يتوقف فجأة ويتفرس في الجماعة) اياكم أن تفوهوا بكلمة واحدة .. الكلمة مصير (يردد العبارة الاخيرة بينما يجري خارجا من المسرح) الكلمة مصير.. الكلمة مصير .

(تجترّ الجماعة حركة هز الرؤوس المتتابعة الموحية بأقسى أنواع الخواء الحزين .. يدخل علي مهرولا من اليسار . يتوقف ناظرا الى الجماعة ... .

علي : (بتصميم) أين يختبىء ؟ (صمت) أسألكم أين يختبىء ؟ (صمت .. متظاهرا بالهدوء) اللامبالاة تستنزف القضية ووعد الوجود . (صمت) .

علي : (محاصرا) ريح الجنوب الرصاصية تحمل صفير الارواح التي تصدأ بالانتظار . ولا فرار. اننا موثقون الى الارواح الصافرة . هذا ما يجب والا كنا أكذوبة ينبغي أن تتبدد .. (بعنف) ألم تلاحظوا ؟ انه عشة تنخر جذع

الامل .. كل أمل . (برهة) لا نستطيـــع أن نسلم . أليس كذلك ؟ (صمت .. باشمئزاز) الى الجحيم .. اختياركم لن يوهـن عزمي . لقد نضج القرار ، وانتهت الحيرة . (بالحاح) لا يمكن أن يستمر ذلك . انـه جرسنا يرن . لا تصدقون ؟ ليس كجرسهم . الكذب لا يرنّ . انـه يفحّ فحسب .. جرسنا .. جرسنا .. (صمت) آ .. (يخرج من اليسار مشمئزا) .

(تجترّ الجماعة حركة هز الرؤوس المتتابعة الموحية بأقسى أنواع الخواء الحزين ، وتحرك الموسيقى الجنائزية السكون الراكد .

.. يدخل عليوة من اليمين مسترق الخطى . ينقب بعينيه يمينا وشمالا ، ثم يزفر بارتياح) .

عليوة : أرأيتموه ؟ ما قولكم ؟ (يهز رأســه ويترنح) انسان يضيع حتى امكانية العزاء . ان للغبـاء ألاعيبه . (يتوقف .. تتورم عينـاه .. يتأخر قليلا نحو يسار المسرح ، ثم يهمهم هامسا) على ان الاب .. الاب التعيس كـان أشد غباء . (يمسح بكفه جبينه الذي يتعرق) .

(تنفجر موسيقى كالعصف . بينما يسقط ضوء باهر على مؤخرة اليمين حيث يحملـق عليوة .. نرى بيتا صغيرا من غرفتين ، وردهة واسعـة تفضي الى الصالون .. تحيط به من اليميـن والخلف حديقة مزدهرة تجتاحها جموع متتالية من الاطفال والنساء وبعض الرجال .. ثمة صرخات ،

وكلمات جماعية تتكرر طيلة المنظر مبحوحة ، ممعوسة المخارج كالاصداء :

ـ الرحيل .. الرحيل .. يسبون النساء
يقتلون الاطفال ـ جريا .. جريا .. يقتلون كل
حياة ـ الرصاص ـ يا تعس التراب والانسان
ـ يا رب ـ جريا .. جريا .. يهجمون كالفيلان .

بعد وقت قصير يلوح في الردهة رجل في الاربعين بيده بندقية صيد ، ويدفع أمامه امراة تولول ، يتمسح بها صبي صغير) .

المرأة : (خلال ولولتها المستمرة) لن أبرح بيتي ما لم تكن معي ..

(ترعب الصبي أصوات الجمهور ، وتراكضه .. فيزعق متشبثا بتلابيب أمه) .

الرجل : كفى جنونا .. ينبغي أن ترحلي مع الآخرين .

المرأة : وأنت ؟.. أين أذهب بدونك ؟

الرجل : تمضين كسواك الى بيوت الاقرباء .

(يزداد الهرج وتشتد الحركة كأن نبضا مفاجئا قد تدفق فيهما . الرجل والمرأة يتكلمان دون أن نفهم كلامهما . يستمر ذلك لفترة قصيرة .. ثم يتضح صوتاهما كرة أخرى) .

المرأة : ولكن ماذا يمكنك أن تفعل ؟ أنظر .. ها أنا أرى أبا محمد يجري هناك مع الناس .

أبو محمد : (بينما يجري صارخا) ماذا تنتظرون ؟

الرجل : (مشمئزا) أنت يا أبا محمد .. تهرب كالخرفان ؟ (يختفي أبو محمد ملوحا بيده دون أن يبالي بالرد) ستصيبنا لعنة الارض ، وستنبذنا الارض . كلا .. أسرعي . لن أدعهم يدنسونه . هيا .. الحقي بالآخرين .

المرأة : (ولولتها تتفاقم) هل فكرت في ابننا ؟

الرجل : من أجل ابننا أبقى . سأصون له البيت . (ينظر الى الجدران بحنان متهدج) .. بيتنا الذي شيدناه بنزف الدم . تأملي كيف خرب الخائفون حديقتنا . تأملي ما حلّ بأزهار البنفسج الغالية .

المرأة : سأبقى معك .

الرجل : (يدفعها) لا تكوني عنيدة . يجب الا يروّع الصبي . سأنتظركما هنا . (باخلاص) أقسم انني لن أترك الاوساخ تفترس غبطة البيت . سأكنسه كل يوم . سأغسل حجراته .. ولن يقتربوا منه أبدا .. حتى أنفاسهم الوخمة سأدفع هباتها . (حازما) سيبقى البيت . ينبغي أن يبقى البيت والا ...

المرأة : سنبني آخر . أتضرع اليك ..

الرجل : لن نكون جديرين بالآخر ما لم نحم هذا ..

(تعلو الجلبة ، وتقوى الاضواء المتساقطة على الجمهور . يستمر ذلك لفترة طويلة نسبيا)

صوت امرأة : (تستحثهم) يـــا حفيظ .. ألا تسمعـــون الرصاص ؟ أتركوا كل شيء وتعالوا . (يتحشرج صوتها بسبب البعد والجلبة) .

الرجل : (لاكزا زوجته) امشي يا امرأة ، وكفى ثرثرة .

المـرأة : (ناحبة) ماذا أفعل ، وأين أمضي دون زوجي ؟

الرجل : لن يكون زوجك اذا لم يثبت اخلاصـه للامانة .

المـرأة : أية أمانة ؟!

الرجل : أمانة الارض والبيت . أسرعي . (يدفرهـا على الدرجات .. تهبط مترددة) قلت أسرعي مـن أجل الطفل ..

(تمشي المراة وهي تلتفت الى الخلف . يتبعها الصبي مذعورا لا يفهم شيئا . وكلما التفتت أمه ، التفت معها .

يلوح الرجـل بيده ، ويسهـم بنظرة قاسية حوله ، ثم يدخل موصدا الباب .

تختفي الانوار .. ويغيب المنظر بضجيجه) .

عليوة : (نافضا رأسه) واذن .. انهـا الامانة ! قهقهـة أسيانة مختلطـة بشهق غريب .. عمّ أسفرت المعركة في تقديركم ؟ لا شك انكم تعرفون كل شيء . فيما بعـد ذاع النبأ . وكـانت الام ضحيته . (هنيهة) انـدثر البيت .. وغرس مكانه على أشلاء الامانة والبنفسج ، من يـدري ماذا غرسوا مكانه ؟! ربما ثكنة .. ربما مقهى ..

أو ربما ملهى ليلي ترقص فيه كل نغولات العالم على أنغام الامانة البطلة . (تلتمّ قسمات وجهه بتقزز) العظمة الانسانية ! (يصرخ) في عالم جيفة لا يعيش الا المتجيفون . هذه حصيـــلة عمر لعين عاشني .. وغشّني . (فترة) يا اله محمد .. (يضحك) انني أتحول فجأة الـى ممثل . (يسمع وقع أقدام ، فيرتعد) ثانية.. ثانية . الغبي ضحية غبائه . والذكي ضحيـة ذكائه .. ليس الا الضحايا ..

(يقول العبارة الاخيـــرة وهو يخرج من المسرح مترنحـا ..

تكرر الجماعة حركة هز الرؤوس المتتابعـــة ، الموحية بأقسى أنواع الخواء الحزين ، فيما تنبعث الموسيقى الجنائزية .

يدخل من اليمين شاب أسمر . وجهه مألوف ، يحمل التقاطيع النموذجية لسكان المنطقة . العينان العميقتان المنطويتان على ضياع قديم ، متجدد ، والشارب الطويل ، والشفاه الممتلئة قليـــلا ، والذقن المدببة.. يحمل راديو ترانزيستور ، وتطبع مشيته الحيرة والقلق .

عندما يصل منتصف المسرح يفتح الراديـــو ، فينبعث صوت المذيع :

ـ زيفوا الوحدة ودعوتها . أما ثورتنا .. فهي المنطلق السليـــم ، المنطلق العقائدي لوحــدة أصيلة راسـ ..

تتجمع عضلات وجهه متقلصة حول أنفه في امتعاض . يغير مؤشر الراديو :

ــ البيان رقم ١٠٠١ من الحاكم العسك ..

تتجمع عضلات وجهه متقلصة حول أنفه في امتعاض . يغير مؤشر الراديو :

ــ « يا كركدن لا تحسبن تاتقبضن .. امشي عاضوعا .. » .

تتجمع عضلات وجهه متقلصة حول أنفه في امتعاض . يغير مؤشر الراديو :

ــ قالوا الوحدة ، وكانوا يكذبون . وقالوا الاشتراكية ، وكانوا ينافقون .

تتجمع عضلات وجهه متقلصة حول أنفه . يقفل الراديو) .

الشاب : أف ! (يهز رأسه) الفخ ! عبوديتنا التاريخية لبصاق أجهزة أديسون الملوثة . ما نكاد ندير الزر حتى تنبعث لدينا الرغبة في التقيؤ .. فنوقف الصوت ، ورشاش البصاق . (فترة) لكن لا تلبث الاصابع المريضة أن تعود باحثة عن أفيونها والمعجزة (بمنتهى الاشمئزاز المتأفف) المعجزة حلم حشاش تافه . لامعجزة . لا حقيقة . لا شيء الا البصاق .

(يدخل علي من اليمين بخطى سريعة لهفى) .

علي : (للشاب) أين هو ؟

الشاب : (يباغت ، ثم يهدأ بعد أن يقيسه بنظرة

هامشية) ماذا تظنني أفعـــل هنا ؟ اني أبحث عنه . هل وجدته ؟

علــي : (مندهشا) أنت ؟ من ؟

الشاب : ألا تعرفه ؟ كلنا باستثناء المخدوعين والنائمين ، نبحث عنه .

علــي : (أكثر اندهاشا) من ؟ هو لا سواه ؟

الشاب : نعم . ملجأ خارج الجغرافيا . وبعيدا عن دوامة التاريخ الرهيبة .

علــي : (يشيله بنظرة خائبـــة ، ثم يسقطه محتقرا) انهزامي آخر ..

الشاب : (ابتسامة صفراء) هه .. وسيـــادتك خطيب آخر ! (يضحك) كميـــــة من صنف تجاري كاسد رابح . (يضحك) أم لعلك تحلم باذاعة بيان رقم (١) ؟! طظ . وما الجديد في ذلك ؟ كل أسبوع تبصق لنا أجهزة اديسون الملوثـــة بيان الرقم (١) فما الذي تبدل ؟

علــي : الى الجحيم . علك الكلام الفارغ لم يعد يلذني . لن أتلكأ في تضرعاتكم المغشوشة . لي قضيتي التي لا تفهمها . أوه ! (يلتفت الــى الجماعة) أين هو ؟ (صمت) أقــول أين هو ؟ اني أشمّ رائحته . (صمت) أنا أعرف كم تغري أحاديثه الثملة بالتساهل . كالتواكل .. كالنسيان .. كالتخلي . (صمت ، محزون النبرة) يا الهي .

في البدء ظننت ان شرارة واحـــدة تبصرونها كافية لتكونوا عوني الضروري . والآن . لا . ينبغي أن يتم كل شيء في الهجر .. في برودة الوحدة والقلق . (متماسكا) لا بأس . هــذا سيشحن الاحـــداث ، ويدفعها الى نهايتهــا القصوى . (يخرج من اليسار) .

الشاب : (ماطا شفتيه ، هازا رأسه) أما مفوه ! أهــي الوزارة تغزل فكره أم السجن ؟ على كل ليس أرخص من هاتين البضاعتين لدينا .

(يضحك ، وتجتر الجماعة حركـة هز الرؤوس المتتابعة ، الموحية بأقسى أنواع الخواء الحزين .

تسيل الموسيقى الجنائزية التي تستمر حتـــى نهاية المنظر .

يمشي الشاب على المسرح شارد البال .. ثـم تفتح أصابعه بشرود ويعـــود زر الراديو فينبعث صوت المذيع :

ـ لقد أثبتت المؤسسات الدستورية برســوخ مبناها التاريخي انها الاقدر على قيادة حركة التقدم.

يكشر الشاب عـــن أسنان متضاغطة تتساحق ، ويغير المؤشر :

ـ بلدنا الصغير . صوت السلام ، وتناغم الجمال ، ومعجزة الاله على الارض لا يعمره الا الحيـــاد ، وترسيخ الحدود حتى نواة الارض .. حتى السماء .

يكشر الشاب عن أسنان متضاغطـة تتســاحق ، ويغير المؤشر :

ـ « عايزين ياكلوك ، ومش عارفين ياكلوك منين.. ياكلوك منين .. أكلك منين يا بطة » .

يكشر الشاب عن أسنان متضاغطة تتساحق ، ويغير المؤشر :

ـ بيان رقم ١٠٠٢ من الحاكم العسكري ..

يكشر الشاب عن أسنان متضاغطة تتساحق ، ويغير المؤشر :

ـ الوحدة لدينا قضية ومبدأ . أما في أجهزتهم فان الوحدة شعار فارغ لخداع الجماهير ..

يكشر الشاب عن أسنان متضاغطة تتساحق ، ويغير المؤشر :

ـ سنرجع خبرني العندليب ..

يكشر الشاب عن أسنان متضاغطة تتساحق ، ويقفل الراديو . ينهمر في هذه اللحظة من كل صوب ، صدى عميق كلهاث أعمق الوديان يردد عبارته السابقة ، معطيا الاحساس بكورس غائب ينشد من بعيد ، ومن شتى الاتجاهات ..

ـ الفخ ! عبوديتنا التاريخية لبصاق أجهزة اديسون الملوثة . ما نكاد ندير الزر حتى تنبعث لدينا الرغبة في التقيؤ ، فنوقف الصوت ، ورشاش البصاق .. لكن لا تلبث الاصابع المريضة ان تعود باحثة عن أفيونها والمعجزة . المعجزة حلم حشاش تافه . لا معجزة . لا حقيقة . لا شيء الا البصاق .

يدخل عليوة مع الكلمات الاخيرة من اليمين . يلمح الشاب ، فيتوقف لحظة ، ويهم بالتراجع . غير انه حين يسف النظر جيدا ،يعدل عن ذلك) .

علیوة : (الثمل يوالي اصطياد اتزانه سواء في الحركات أو الكلمات) آه .. أخفتني يا رجل .

الشاب : (دهشا) سامحك الله . وهل يخيف الخائف ؟

علیوة : حسبتك الثاني .

الشاب : أتعني الخطيب الذي مرّ منذ قليل ؟

علیوة : (مرحا) خطيب ! نعم .. نعم . وحق الرب انك بارع . (فترة) يا للفصل السخيف الذي نلعبه . ألم تر كم هو مسئم ؟

الشاب : ليس المسئم نادرا حولنا يا صديق . (ينتبه للزجاجة) ولكن ، ما الذي اراه في يدك ؟ أهو خمر ؟

علیوة : (رافعا الزجاجة) بل حافز على البقاء (في تهلل) أتشرب ؟

الشاب : (بعد تردد وجيز) ولم لا ؟.. ينبغي أن نجرّب كل مقويات الاحتمال .

علیوة : (مصفقا على الزجاجة بفرح) انت حقيقي وأصيل يا رجل . هكذا . حدسي لا يخطىء . لقد ادركت مذ رايتك انك حقيقي واصيل .

الشاب : (يشرب بشراهة ثم يتنهد) مباركة خمرك . لكنها تكاد أن تنضب .

علیوة : (بغمزة باسمة) ثمة احتياطي صغير . (يخرج من جيب سترته الداخلي زجاجة صغيرة ،

نصفها مليء بالخمر) انني مجهز جيدا كما تلاحظ .

الشاب : حقا . وكذا يفعل من يقرر البقاء في الجحيم .

عليوة : (صاحيا) يقرر ؟ لهي دعاية دون ريب . (يتمايل يمينا وشمالا) أقول .. اني أكره المداهنات البلهاء .. فمن الذي يقرر ؟ (ينفعل وجهه) ان الفرائس لا تملك تقريرا . ونحن . آه يا رفيق . ما نحن الا هوام سقطت في شرك القرارات المجنونة العاتية (يقفز ممثلا) صيادون في غاب افريقيا أطبقوا على الطريدة ، وأخذوا ينهشون وجودها بصرخات عاشقي القتل ، والجنون والتعذيب . صرخة من فوق . صرخة من خلف . صرخة من خارج .. ويتخلع الكيان .. يتفكك ويتناثر في طين الوخم الشامل . (يصمت برهة ، وكأنه يستيقظ) المرة الثانية .. حين يتخلع الانسان ، يبحث عن نفسه في تأدية الادوار والتمثيل ، ويقينا لا يسرني ذلك . (بازدراء) النار لكل شيء .. اشرب .. اشرب .

الشاب : (بعد أن يتناول الزجاجة في سهوم) والله انك فهيم . (كما لو كان يحدث نفسه) فعلا .. ماذا نملك نحن ؟ دوامة فائرة تدوخ القش وتطحنه فيما تلوك نفسها . (يعلو صوته) قش .. قش تتلاعب به الدوامة الوضيعة .

لا القش يملك نفسه ، ولا الدوامة تخون بلاهة مجـراها . أوه .. أوه .. (يغمض عينيه . يجرع كل محتويات الزجاجة) .

عليوة : (جزلا) طيّب .
(يرمقه الشاب بنظـرة ذات معنى مومئا الـى الزجاجة) .

عليوة : أنت ..

الشاب : لا .. أنت .

عليوة : لعلني لا أحب ذلك .

الشاب : حسـنا (يلقي الزجاجة بكل قواه على حجـــارة الحائط فتتهشم مدوية) .

عليوة : (راقصا) طيّب .

(تجترّ الجماعة حركة هز الرؤوس المتتابعة الموحية بأقسى أنواع الخواء الحزين) .

الشاب : (وجوم مباغت) زجاجـــة فارغة تتحطـــم . ما الفائدة ؟

عليوة : لا شيء . صمت قصير ، ينساق فيه مع جـو الوجوم) ما أعـــذب أن يتقن المرء معرفـــة المستحيل . ربما كـــان ذلك هو امتيازي . (يرتفع صوته) صاح ! الم تسمع بحكاية تلك المراة المسكينة ؟

الشاب : اية امراة ؟

عليوة : (تكسو الدعابة المحرورة صوته) ولو يا رجل ، المرأة التي تسمون قضيتها العار والنكبة .

الشاب : أتعني ؟

عليوة : نعم أعني تلك التي كانت تملك بيتا جميـــلا على هامش البلدة ، والتي كانت ـ مع هذا ـ تحب أن تهجره السهرات الطوال لتثرثر مع قريباتها عن الايام الخوالي ، وبهجة سنين الدراسة .

الشاب : (لا مباليا) التي سطا اللصوص على بيتها .

عليوة : والتي لا يفتأ يعدها الاقربـــاء بطرد اللصـــوص والتحرير .

الشاب : (زافرا) ما أكثر ما يَعِد الاقرباء !

عليوة : وعود كالرمال . عظيم .. اننا نقترب من ضيـاء الشمس . أتظن ثمة أمل ؟

الشاب : لا أدري .. ربما لا ..

عليوة : (يترنح ممثلا) ربما .. لا أدري .. كلمتـــان ثاقبتان . (فجأة) أما فكرت في مصابها من قبـــل ؟

الشاب : (اثر تأمل وتدبر) الحقيقـــة كلا . (يقهقـــه عليوة) ليس ذنبي . لقد حدثونا عنها كمـــا يتحدثون عن موقع جزر هاواي . ثم أكاذيب .. ثم مشاكلنـــا . مشاكلنا التي تلتهم الطاقـــة والاماني . (يقهقه عليوة) الدوامـــة المتوحشة

يا هذا . نلوك مطاط الزمان ونراوح في المكان .
لا فرجة . لا ثقب . لا نفاذ .

عليوة : (يربت على ظهره) تعجبني صراحتك يا رجل .

الشاب : (مغتاظا) اللعنة على الصراحة . يضرب الارض بقدمه) من أين نبدأ ؟ من أين نبدأ ؟ هذا هو السؤال .

عليوة : (باسما) تريد أن تعرف ؟

الشاب : بالتأكيد .. اريد .

عليوة : (عبر قهقهة متداعية) من زجاجة مليئة نبدأ .

الشاب : (يحدق الى عليوة ثم الى راديو الترانزيستور ، وبعد سهوم يغمغم في فتور مبحوح كالمرض) لعل .. ليكن .. ليكن .

(تندلق الموسيقى الجنائزية . ويناول عليوة الشاب الزجاجة الاخرى فيحسو ملء فمه ، ثم يشرب هو مبتسما ... تسمع بعد قليل ضجة خارج المسرح) .

عليوة : (مرتبكا كمن لدغ في قدمه) الدب الابله . هلم . هلم . (يتلكأ الشاب متلفتا حوله بحيرة ، فيجرّه عليوة ، وهو يردد مغمغما) : ــ الدب الابله .. هلم . الدب الابله .. (يخرجان من اليسار) .

(تجترّ الجماعة حركة هز الرؤوس المتتابعة

الموحية باقسى أنواع الخواء الحـــزين ، ويتعمق حزن الموسيقى السائلة في خلاء المسرح .

اثر دقيقة تقريبا ، يدخل علي مــن اليميــن متزايد اللهفة ، متسارع الخطى) .

علـي : (متعبا ، وقد كنست عينـــاه مختلف جوانب المكان) أيضا .. لا أحد . لكـــن رائحته .. النفتالين الطري . لكـــن صوته .. الشحم الذائب. عبثا . كملاسة ثعابين المياه . ما يخيل اليك انك أمسكته حتى ينزلق غائصا في القعر الاســـود الكثيف . (يدور) يا رب . انهـا نفسي .. وأنا وحيد ! لو كانوا يساعدونني ! لو كانوا يعلمون انني من أجلهم (يفور صوته فيتجه اليهم) أنتم يا .. لماذا ..

(في هذه اللحظة يدخل من اليمين رجل كبير، يلبس ثيابا فاخرة ، ويضع على عينيه نظارة طبيــة يتدلى بين زجاجتيها أنف طويل كمنقار اللقلق . انه صحفي . بيده اليسرى دفتر أسود وباليمنــى قلم حبر ناشف مما يستعمله الصحفيون . ويعلـق في كتفه آلة تصوير سريعة) .

الصحفي : (صوته نسائي .. هشّ) أخيـرا (يدمدم) لو لم يكن المرء بحـــاجة اليهم لما عرف كيف يذبّهم عن باصريه . (يصبح الـى جوار علي) ها انني أجد بعضكم . الحقيقــة يكفي واحد . الا انني سأستغل التعدد في التأكيد . وما دام مثلنا يملك الموهبة فان المطابع ليست بلا فائدة.

الحقيقة ان الصحافة مهنة مثيرة رغم متاعبها .

علي : (يغلب عليه النفور) والآن ماذا تريد ؟

الصحفي : الحقيقة .. شيء بسيط للغاية . انني أعد ريبورتاجا فريدا . (يفتش عن كلمة) بوسعك أن تصفه بأنه أحد مظاهر المعركة. الحقيقة.. ان المعركة مستمرة ، وليست الكلمة أقل أسلحتها .

علي : (نافد الصبر) والآن .. هلا أفصحت عما تريد ؟ ان مهمة كبرى تنتظرني .

الصحفي : (مبتسما) أعلم . وهي مهمة لن تنجز الا بقيادة سيدنا الحكيمة .

علي : سيدك ؟!

الصحفي : أجل .. سيدي قائد المعركة ، وفارس العودة ، وبسمة الامل في مدلهم الديجور . (صمت) الحقيقة .. الحقيقة جئت أبحث عن اعترافكم بذلك .

علي : اعترافنا ! هذا ما جئت تلتمسه حقا ؟ (غاضبا) لتطفىء الشياطين ذبالة نور العالم. ألم تشبعوا من الكذب بعد ؟

الصحفي : ماذا أصابك ؟ الحقيقة انني أكره موضة السخط والشتائم ، كما أكره تسالي النقاش واحتقان اللوزتين .

علـي : (صاخبا) اكره ما تشاء . ولكن دعونا وشأننا .

الصحفي : (ضاحكا بسخرية) ندعكـــم ؟ والله عـــال .. الحقيقة ان المسألـــة ليست بالسهولة التـــي تتصور يا حبيبي . هنـــاك نظام أقـــوى منـــا جميعـــا .

علـي : لست حبيبك . ثم أي نظام مبعوج جئت تهرف عنـــه ؟

الصحفي : النظام . نعم النظام . الحقيقـــة ما الانسان ؟ مجرد مسمار زهيد في عربة النظـــام الهائلة . فاصغ الي جيـــدا اذا أردت أن تعرف نظامنـــا الخاص . (يسرع صوته مذكرا بحكايـــة ابريق الزيت) السيد يريد ديمومة الحكم . وديمومة الحكم تقتضي رضى الشعب . ورضى الشعب يقتضي مظاهر الوطنية والبطولـــة والصلاح ، وقضيتكم أكثر القضايا حساسية ، وأنسبهـــا لارتداء جلابيب الوطنية والبطولة والصـــلاح ، واذن فليكن ضجيـــــج . ولتدق الطبـــول ، الصامتة منها والداوية . ثم .. أنا رجل يجالد الدهر ليعيش . العيش يفرض تنفيذ رغـــائب رئيس التحرير . ورئيس التحرير ينمـــي ثراءه ومكانته بتنفيذ رغائب السيـــد . ويدور حجر الطاحـــــون .. يدور ويدور طامسا ضجيـــج الشاتميـــــن وهلوسة الصخابين ، لا يتلكأ ، لا يتعثر . يتغير السيد ، ويتبدل حبر المطابع ،

لكن الحجر لا يتلكأ .. لا يتعثر .. ويـدور . يدور ويـدور الى ما لا نهايــة . (يضحك) ها أنا أذيع سر المهنة : أيكون ذلك بلا مقابل ؟ الحقيقة أنت طيب ، ولن تضن عليّ بالتعويض.

عـلي : (منذهلا) أجل . طيب الى حد انني أود لو أطعم رأسك لقطط البرية . (يلتفت الى الجماعة) أسمعتم ما نحن ؟ ديدأن لافخـاخ العصـافير الضائعة . (مشمئزا) والديدان ليس لها وطن الا وحل المستنقعات .. أما ينبغي أن يعلمنـا مذاق المستنقعات التفه شيئـا ؟ (مخاطبـا نفسه) كلمة سوف تعنـي لا ، والى الابـد . (بعزم) الآن .. الآن تماما ستخرج أول دودة من المستنقع .

(يغادر المسرح من اليسار بخطوات عجلى) .

الصحفي : (يضرب كفا بكف) والله عال . هـــذه هي النتيجة حين ينام جهاز المباحث . لقـد كنت مصيبا جدا اذ أثرت هذه القضية مع المسؤولين منذ أيام . الا ان للمسؤولين صوابهم أيضا ، فماذا يمكنهم في الواقـــع أن يفعلوا أكثر مـن مصـــادرة نصف المدارس والمراحيض العامـة للمعتقلين ؟ الحقيقة ان أيـة حكومة لن تعرف الاستقرار ما لم تجد حلا لهـــذا الاشكال . (كأنه يتذكر ، يتجــه الى الجماعة) أوه .. ولكن بالنسبـــة لكم يختلف الامر .. أليس

كذلك ؟ انكم أحكم من تابع الشيطان ذاك ، وستتعاونون معي دون ريب .

ـ (صمت)

(مبتسما) لا تتظاهروا بالذكاء . فنحن نفهم بعضنا جيدا .

ـ (صمت)

طيب .. كم تطلبون ؟ خمسة لغير الاطفال ؟

ـ (صمت)

(على حدة) انهم يساومون ببراعة . الحقيقة ليس بالمبلغ الزهيد .

ـ (صمت)

(محنقا) ماذا كان يدفع عملاء ذلك الدعي ؟ أكثر ؟ (بعد تردد) لا تلوموني اذا قلت .. اني أشم رائحة الشراهة .

ـ (صمت)

ما أشد عنادكم ! ليكن .. عشرة اذن .

ـ (صمت)

(على حدة) يا للمأزق ! يجب الخروج منه بأي ثمن . (برهة) ستندمون ، لانني لن أحتمل مساومة أكثر . اسمعوا ! أقسم انهم لم يرصدوا الا ما أعطيتكم .

ـ (صمت)

ما هذا ؟ لا بد من حل . (يدور مفكرا) **الحل** . **الحل** . (تنشـال **الموسيقى**) **الحل** . . **الحل** . (لا يزال يدور) **الحل** . . . (يقفز بهستيرية) وجدتها . . وجدتها . عندما يتكلم البكم بأبلغ مما يتكلم اللسان . عنـوان مثير . بعض الرتوش فقط . (يفتح الـدفتر الاسود ويكتب) كلمة صمت أجمل وقعا وأمضى تأثيرا . عندما يتكلم الصمت بأبلغ مما يتكلم اللسان . (يكتب بصوت مسموع متحمس) وفي زاوية ظليلة وجدتهم . كانوا وجودا مترابطا ، بل موحدا . . تطـوف به لهثـات ألم غامض . . كثيف . . متدافـع . ووخزتني الرؤية . وحين حييتهم انداح صوتي في الخواء متـلاحقا بصدى كئيب . . كزفر المقابر . لا يحب رئيس التحرير كلمـة المقابر . كزفر . . كزفر المدى الموحش . في البدايـة لم أفهم ، ثم عنـدما أطلقت الافواه الخرسـاء أصواتها المبتورة المثقلة بالمعنى أدركت انه البكم . ماذا أفعل ؟ . . كدت أتركهم باحثا عن آخرين ، لولا انهم أغرقوني بوأوآتهم البليغـة المؤثرة . فأخرجت صورة السيـد ، ووضعتها أمامهم . يا للروعة ! ان يراعة هوميروس تعجز عن سكب انفعالات المشهد وحرارته في كلمـات . وثب عجوز فاختطف الصورة وراح يلثمها . وصوتت النساء في زغاريد مقطعة مبحوحة ، وانخـرط الاطفـال يدمدمون راقصين . كأنهـم الاغريق

يقدمون قرابين الشكر لاحكم وأشجع الآلهة . بديع .. بديع . سينبهر رئيس التحرير ، وستكون مكافأة مجزية هذه المرة . (يتقافز مهووسا) لم يبق الا الصور . (يوجه كاميرته اليهم ، ويلتقط ثلاث صور من زوايا مختلفة ، ثم يخرج مرددا) ألم أقل ؟.. ليست المطابع بلا فائدة ، ما دام مثلنا يملك الموهبة .

(تجترّ الجماعة حركة هز الرؤوس المتتابعة الموحية بأقسى أنواع الخواء الحزين .

وتنوب لحظات ، ثم يدخل عليوة ورفيقه متمايلين ، يحيط كل منهما كتف الاخر بذراعه . انهما يعبران المسرح .. ولولا بطؤهما وتوقفاتهما الوجيزة لما استمر المشهد أكثر من دقيقة) .

عليوة : (مواصلا روايته التي يلوح انها بدأت قبل دخولهما . لسانه متلجلج ، ومقاطع الكلمات مضحكة) فأنا حالة استثنائية .. كانسان بلا ثقل .. بلا وزن . هل فهمت ما أعني ؟ تلك الوضعية التي تيبس فيها الجذور ، وتتلاشى الروابط . (يتوقفان) ربما قرأت ذلك في كتاب . لا أذكر ..

الشاب : (صاخبا) اللعنة على الكتب .

عليوة : اي والله . فهي الكذب والوعد الزائف (يتنهد) عقيب الخروج الكئيب . (منفعلا) يا رجل ، حتى البحار تعلمت الغدر . وبدلا من أن تنفرج

لموسى أغرقته، وتراجعت ذليلة أمام .. أمام..
أمام (بقسوة مثقوبة بالتهاوي) من زنى
التاريخ بأمهم .

الشاب : (مبتهجا) عظيم .. عظيم . نخب البلاغة .
(يشربان ، ويتابعان ترنحهما) .

عليوة : (متضاحكا) البلاغة ! ربما . ماذا كنت أقول ؟
ماذا كنت أقول ؟ أجل . عقيب الخروج
(يكتئب صوته) كنا متفقين كما لا تتخيل .
يشدنا الحزن ، والجوع والخوف بسماط
واحد . لا شباك .. لا شكوك .. لا فواصل .
نذرف الدمع في حضن الام المهدومة ، وننزف
الشجون آهات ، ونلتهم الكتب ، ونستمع الى
الخطباء . وكانت الضوضاء المشتعلة توقد بقايا
ضوء لطالما تقوتنا منه . لكن (يستوقفان قرب
الحائط) سرعان ما هدأت الضوضاء ، وانطفأت
بقايا الضوء . ذلك .. ماذا أسميه ؟ ادراك
ناصع كثلج الميلاد . أفيخون المرء ادراكا بهذه
القوة ؟ في البداية لم يتكلم . غير ان عينيه كانتا
تثيران القيء في جوفي . ليخسف الله تلك
النظرة . كالوحل اللزج يغطي تمساحا همجيا
مخيفا . وكنت أعلم . أخيرا .. أخيرا تشققت
لزوجة الوحل . وبرز رأس التمساح هائجا ..
غبيا . (متقلقلا) لنسرع يا صديق . اني ..
قلبي مضطرب ، ولعلني خائف .. (بأسى)

قبل أن تتنظف الارض من الغبـــاء لن نذوق عذوبة الراحة .

الشاب : (وهما خارجان) والمصيبة ان جذر الغباء أعمق وأصلب . (يخفت صوته تدريجيا) انه الاكثر صلابـــة .

(تجترّ الجماعة حركة هز الرؤوس المتتابعة ، الموحية بأقسى أنواع الخواء الحزين . وينسكب مع الموسيقى عزيف ريح هادىء .

يدخل علي من اليمين ، وما فتئت لهفته تتنامى، وخطواته تتوسع . يجوس بعينيه في المكـان كما يفعل كل مرة) .

عـلي : (متشمما بتقزز) الرائحة ذاتها . أنفاس الموتى، ولهاث المائعين . انه يستغل قانون الحلقـــة المفرغة ظانا ان الاطار الدائر أقوى مـــن ارادة انسان يبصر منطلقه . سيرى .. (يخرج من حزامه خنجرا عتيقا يهزه في الجو) سيرى . لعنة البيت رهيبة عندما تحل . انني أعنيكـم أيضا (مهدئا نفسـه) أما تسمعون ؟ لماذا ؟.. أهو اليأس ؟ ان بداية من اليأس تجعل حدود الممكن بلا نهاية . (برهة) وعلى كل ما الـذي سنخسره ؟ الفتنا المقيتة مـــع الخور ؟ أهي التضحية العظيمة ؟! بربكم أنطقوا . تكلموا أي شيء .. أي شيء .. (ممتعضا) حجـــارة منخورة .. ومفتتة . (يغادر المسرح من اليسار راغيا) .

(تجترّ الجماعة حركة هز الرؤوس المتتابعة الموحية بأقسى أنواع الخواء الحزين .. وينسكب مع الموسيقى عزيف ريح تشتد .

يدخل عليوة من اليمين راكضا وقد بوخ الخوف كل التعابير الاخرى على وجهه) .

عليوة : وحق الرب كاد أن يراني . (يمشي قلقا وأجفانه حمراء تتورم) ما العمل ؟ يا لغبطة صديقي ! انه يغفو الآن كالسنونو بعد نهاية رحلته السنوية . (يميع صوته) أريد أن أغفو .. أن أتمدد وأغيب مرتحلا عن السخف والذكريات ووعي المستحيل . (تتزايد ميوعة صوته) يا صحاب . كل المدركين والناضجين يبصرون انسداد الافق بالمستحيل ، فلم نناطح الاوهام بعدئذ ؟ لماذا لا نلتفت الى المعطى فنستنفده حتى ثمالته ؟ (ركض خارج المسرح) هو .. هو .. يا للسماء . (يجري بعصبية هاربا من اليسار) .

(تجترّ الجماعة حركة هز الرؤوس المتتابعة الموحية بأقسى أنواع الخواء الحزين . يدخل علي من اليمين متطلعا حوله ، والخنجر ما يزال يبرق في قبضته) .

علي : الخيبة مرة أخرى . والرائحة تثقل وتتكاثف . اقتربت اللحظة . ومزيد من العناء لا يساوي شيئا حين تطوف في الذهن روعة البدء من

نقاء التصفية الكاملة . (يهرع خارجا من اليسار) .

(تجترّ الجماعة حركة هز الرؤوس المتتابعة الموحية بأقسى أنواع الخواء الحزين .. فترة .. يدخل عليوة متثاقلا من اليمين) .

عليوة : (عابرا المسرح) الغباء .. الغباء .

(يخرج ، وتجترّ الجماعة حركة هز الرؤوس المتتابعة الموحية بأقسى أنواع الخواء الحزين . فترة قصرة .. ويدخل علي متدفق الحيوية) .

علي : (عابرا المسرح) لا .. مستحيل . الارواح تصفر .

(يخرج ، وتجترّ الجماعة حركة هز الرؤوس المتتابعة الموحية بأقسى أنواع الخواء الحزين . فترة أقصر . يدخل عليوة لاهثا) .

عليوة : (عابرا المسرح) تعبت .. تعبت .

(يخرج ، وتجترّ الجماعة حركة هز الرؤوس المتتابعة الموحية بأقسى أنواع الخواء الحزين . فترة أشد قصرا . يدخل علي) .

علي : (عابرا المسرح) سأقضّ مضجعه . البدء غب النقاء .. البدء ....

(يخرج ساحبا خلفه بقية قوله . وتجتر الجماعة حركة هز الرؤوس المتتابعة الموحية بأقسى انواع الخواء الحزين . فترة وجيزة جدا . يدخل عليوة مجرور القدمين) .

عليوة : (منهكا) كفى .. راسي كالجبـل الاجوف .. وجسدي كالرمل تشتته ريح بلهاء . (يدخـل علي مشتعل الملامح) .

عـلي : (في هياج) واخيرا أظفر بك . (يبذل عليـوة مجهودا نهائيا . بيد انه يستسلم فجأة قـانط الهيئة .. مبعثر الملامح) .

عليوة : (ملتفتا) طيب . والآن عمّ تبحث ؟

عـلي : (اصرار فحسب) أنت تعرف عمّ أبحث .

عليوة : (مثقل الاجفان خائرا) أعرف .. لا أعرف شيئا سوى .. عينيك .. هابيل الاحمق .. هابيل الابـله .

عـلي : (ملوحا بالخنجر) لا تتجـاهل . الهاتف داو ومزلزل يا عليوة .

عليوة : هاتف الرب !

عـلي : ربما .. الرب الذي يتفتح في النفس توقـا ووهجا وانبعاثا .

عليوة : (مقهقها) لقد تأخر الرب اذن . أو لعله يعبث . (فجأة يحول باصريه الى الجماعة) الا ترون ؟ ان الله مدين لنا بالكثيـر بعد نمرة التهريـج الطويلة التي نلعبها ، وما نزال .

عـلي : (هاجما) أمنعك من نفث السموم . أنت هالك.

عليوة : هالك ؟

علي : (يهز الخنجر) يا عليوة .. (فترة) كان خائبا لانه لم يعرف نفسه . ثم كان ضائعا لانه لم يجد بدايته .

عليوة : ابعد هذا الخنجر الوضيع .

علي : لماذا ؟ مهمته لم تنجز بعد .

عليوة : (قافزا) هابيل .

علي : بل انه البدء .

عليوة : لا بدء ..

علي : بعد تنقية النفس من ذبابها ، وتهويتها من عفونتها يستيقظ القدر .

عليوة : (خائفا) معا عاقرنا المستحيل . معا ذقناه .. معا تعلمناه .. فلم التحامق ؟

علي : ووحيدا يا عليوة أبصرت موت المستحيل واندثاره . (صارخا) هنالك عهد مقطوع يا عليوة أم نسيت ؟

(تنفجر موسيقى كالعصف ، ويسقط ضوء باهر على مؤخرة اليسار حيث يحملق كل من علي وعليوة ..
نرى نفس البيت الصغير الذي شاهدناه سابقا ، والحديقة التي تجتاحها جموع متتالية من الاطفال والنساء وبعض الرجال .. والصرخات .. ونأمة الكلمات الجماعية :
ـ الرحيل .. الرحيل ..

المرأة ، والصبـــي الذي يتمسح فزعـــا بتلابيب أمه) .

المـرأة : سنبني آخر .. أتضرع اليك .

الرجل : لن نكون جديرين بالآخر ما لم نحم هذا .

المـرأة : أين أذهب ، وماذا أفعل دون زوجي . سيبلعنا الزحام ، ونضيع .

الرجل : لا .. اياك . الفـــلام ، لن تتشاغلي عنـــه . ستعلمينه ، وتوقظين فـــي أوصاله رجـــولة يترقبها ظهـــري العاري . (حماس ومرارة) سأظل أهش نبحاتهم حتى يعـود ، وألف ويل لك ان لم يعد ..

المـرأة : (ناحبة) يا رب .. في صوتك نغم فاجع .. نغم الفراق .. كلا .. كلا .

الرجل : أوهام . تحركي . الغلام جذرنا وأملنا فهـــل نفرط به من أجل الاوهام ؟!

صوت امرأة : (تولول) يا حفيظ . أتركوا كـــل شيء .. والمهم النجاة ..

(تختفي الانوار ، ويغور المنظر في التلاشي) .

عليوة : وماذا تثبت ؟ انني لا أفتأ أنسى هذه الفقرة من حديث ذلك اليوم . صحيح انـــي أنساها .. وكم هو طبيعي أن ينسى المرء ما لا يجد لـــه معنـــى . ان ما حدث بعد المشاهـــد (لفظ

مضحك) والمواقف البطولية مثلا لا يندثر من الذهن ، ما دامت الحياة تنبض في الذهن . ولربما تسعفنا في الآخرة قوة الذاكرة ، فنغدو مهرجي الملك المقربين .

علي : (ذاهلا بالذكرى والخيبة) اليقين سليم .. وينبغي أن تنتهي يا عليوة . فأنت القيد والظلام .. أنت الطحلب والعشب السام .

عليوة : (محاولا التصلب) حذار .. فأنا أيضا العقل والمنطق .. ولولاي لما كنت الا طيشا ونزقا ، وضجيجا بائرا . (فترة) الواقع انك لست بعيدا عن هذه الحالة مذ ركبك حمق اقصائي .

علي : الشق المعطوب من عقلي . أؤمن بالبتر . وليمنحني الله القوة . (بعزم) آن للمتلبد أن تصحو دماؤه ، فتنشد في موكب المنبعثين من اليبوسة والرقاد الطويل .

عليوة : لو سمعك صديقي الذي يحلم الآن بأرضه الطاهرة .. المغسولة من المماحكات والكذب والضياع ، لأضاف الشعر الى خطابتك . يا رجل هل عميت ؟ ألا تبصر قدامك صلابة السدود المانعة ؟

علي : السدود الحقيقية في الداخل . أما سدودك ، فطين رخو سرعان ما يتهاوى اذا ما انزاحت الاولى .

علیوة : (بالحاح) أف .. صيد السحاب عملية جدباء . أنت تعلم ان الغيلان لم يصدها رجل بمفرده . لقد مزقت الغيلان الرجل بمفرده .. داسته.. وعلى الاشلاء شادت حانـة لتساقي أنخـاب الظفر ..

عـلي : هذا ما أقول .. دم فاسد تجلط ومات ، فانقلب فحة خراب تسمم الدم وتحجز دفقه .

علیوة : ما أبرعك في التملص ! كأن الحقيقة تسبب لك مغصا . (يمثل ساخرا) ليتصـور المشردون عملاقا يمتطي الريح ، ويحمل سيف الاساطير. يقاتل الغيلان فيقتل الغيلان .. وتقوم الساعة. (يضحك ، ثم بجدية مفاجئة) أتأمل عـون الاقرباء يا هذا ؟ أم تأييـد الاسرة الانسانيـة الفاضلة ؟..

عـلي : (بعد تأمل قصير) ليس من يهتـم بالرمم .. أما حين تندلع نيران القدر متوهجة بحقـد الاباء وعذابات الضحايا ، فاننا سنغتصب من الاقرباء وأجبهـم ، ومن الاسرة الانسانيـة مسؤوليتهـا . (غائب النظرة ، يُوجـه الحماس) .. ولكن ، لا بد قبل ذلك من فصد الدم الفاسد .. الـدم الميت المسودّ .. كل الذين ينسون أو يحاولون ، كل الذين يرضون هزيمتهم خائنين الاصل والوعد .. باحثين عن الراحة والتلاؤم .. (يرتفع صوته) علیوة ..

هذا ما أخبرتني به البصيرة الطائفة بالبيت .. بالارض النادبة جذرها المخلـوع .. لا بد من فصد الدم الفاسد ، الذي تنتنه شهوة التلاؤم مع الراهن ... (يقترب شاهرا خنجره) .

عليوة : (يتقافز فزعا) لا .. اي جنون !

علي : شذى الخلاص يفعم أنفي ..

عليوة : رجاء .. ان اللعب بالاسلحة خطير .

علي : لن ينال المرء شيئا ما لم يمتط متن الاخطار ..

عليوة : (متراجعا) طيب .. سوف أحيا بهدوء . لـن ازعجك البتة .

علي : (مهاجما) اريد أن أبدأ ..

عليوة : تستطيع أن تبدأ .. لن أفوه بعد اليوم بكلمة .. سأحيا في الظل منزويا عن عينيك .

علي : لا بدء قبل الفصد . أنت خدر يا عليـوة ، ولا يملك الخدر أن يكون شيئـا آخر .. (يقترب اكثر ، جاحظة عيناه) .

عليوة : آه .. ارحمني .. أحب أن أحيـا ، وأرتشف متع العيش الهادىء المنزوي . (بحرارة) أحب ان افرّ من تاريخي ، وأذوب في غمرة العـالم بلا شكـل ، وبلا ملامح . أنغرز فـي الارض وانسى .. اتـواءم مـع حيـاة وأنسى .. لدينـا الكثير . (يغيـر لهجتـه) كـانت لنا ايام .. وكانت لنا أم . اتذكر لما فاجأتنـا

ونحن نلتهم رغيفها الذي سرقناه من السلة . لقد غصصنا ، واختبطت حركاتنـــا فضحكت ملء شدقها وهي تعنفنا .. ثم ...

علي : (منفعلا) صه .. صه .. لا تحـــاول التأثير عليّ .. لن أبيع وعد الوجود بالشفقة . أتسمع النداءات القاهرة .. من بعيد .. مـن صلب الماضي الاصيل .. الماضي حيث يكمن تبريرنا ومبتغانا معا . (بعنف) لا تراوغ .. ان قرارات التاريخ لا تستأنف . (يداوره مقتربا) .

عليوة : (يتراجع في منحنيات) قاتل متوحش خلت منه المشاعر . ليس في عينيك الا الحقد والكراهية المسمومة .

علي : (متوجعا) أبدا .. من يعرف نفســه لا يبغض بواطنها المعلولة ، لكنه يرفضها . وبالحب .. يقهر القلب والالفة يسلخها عنه . ومن هنـــا تستمد الطلقة الاولى نبلها . (ضعيفا) آه .. لا أكرهك يا عليوة . لا يمكنني أن أكرهك . انك بعضي .. غير انني أريـد أن أبرر نفسي .. ولن يكون ذلك ما دمت موجودا .

عليوة : دعني ..

علي : لا أستطيع .

عليوة : (مستغلا تراخي الآخر حتى النهاية) سأحيا .. سأحيا .

علـي : لا أستطيع .

عليوة : (يرامقه طويلا ، ثم بعمق ايحائي ذكي) وأنت لن تستطيع أيضا أن تفعل ..

علـي : آ ..؟

عليوة : سترتعش يدك .. وتتـــراخى أصـــابعك . وسيسقط الخنجر هكـذا .. بهدوء وتثـاقل كجثة الندم .

علـي : اصمت ..

عليوة : الوجه يفضح رغم بجاحـة العينين وخز الزنابير الخفية . لا شيء ثابت ، وفي السكون تـدوم الحيرة ، للقتل آلهة لا يتدرب الانسان عـلى حبها ببساطة ..

علـي لا .. لا ..

عليوة : وينجلي الوهم . ان الاعصاب ثقيلة لا تطاوع ، والكتف منحل . وفي الساقيــن يسري خور انساني رائع . ويسقط الخنجر كالافعى لـو تسممت بالتفاحة . (يتراجع علي خائفا) .

عليوة : (مواصلا بحرارة) ويأبى الوهم انهزامه ، فيصفر في الاعصاب لتحاول . تتوتر الاوصال ثانية . وقد يفلح المرء ليسقط فـي مصيدة الندم . القريص يلحس البـاطن .. أشد الاغشيـة حساسية . القريص يلتفّ عـلى الشفاف .

تندفع البثور ، وتمتد اليد لتهرش ، فلا تبلغ شيئا . شقان للجحيم . والافضل أن يهدأ .. ويتواجد في الفة جديدة مع المكان الجديد .. أن يستنفد اللـــذات ، ويرتشف العـذوبات الصغيرة التي يكتظ بها العالم . حسوة الخمر الجيد .. اللذة تفعم وحشة الليل .. اللحـن الهادىء .. الغفوة الهانئـة .. آه .. ما أكثر ما تحفل دنيانا بالمذاقات الممتعة . (يندحر علي وتسود برهة صمت ممطوطة ، يتفرس فيهـا كل منهما بالآخر) .

عليوة : هراء أن يبعث المرء كل شيء مـن أجل السراب وخديعة الو ... (ينفجر صدى عميق يطمس قول عليوة) .

الصدى : وتوقظين في أوصاله رجـولة يترقبها ظهري العاري . سأظل أهشّ نبحاتهـم حتى يعود . وألف ويل لك ان لم يعد .

علي : (مستعيدا نفسه كالنهر يجتاح جليده) كـدت تخدعني يا عليوة . كدت تنتزع الصواب مـن رأسي . (يهجم) ألف ويل لي اذا تراجعت . (يمسك عليوة المشدوه ، ويطعنه في كتفه) .

عليوة : آخ .. قاتل .. قاتل (١) .

---

(١) كل شيء مختلط .. الحوار والحركات .

(تجترّ الجماعة حركة هز الرؤوس المتتابعـــة الموحية بأقسى أنواع الخواء الحزين)

علـــي : أولى المعارك أقساها (يطعنه) .

عليوة : (محاولا الهرب والذود عن نفسه) آخ .. بحق الارض والرحم .. انك تقتل بعضك .. تقتل نفسك .. آه ..

(تجتر الجماعة حركة هز الرؤوس المتتابعـــة الموحية بأقسى أنواع الخواء الحزين) .

علـــي : نفسي تنزف فاسد دمها ، لا أكثر .. (يطعنه) .

عليوة : (متهاويا) قتلتني .. قتلتني ..

علـــي : تموت ليحيا أمل .

(تجترّ الجماعة حركة هز الرؤوس المتتابعـــة الموحية بأقسى أنواع الخواء الحزين)

عليوة : (يسقط على الارض ، متخبطا بدمه) السمـــاء حمراء (بخفوت) لماذا يا علي ؟ أحنّ للارض . كنت أحن للارض .. لكن (محشرجا) الذكـــي يموت بذكا ...

علـــي : (بعد صمت ذاهل ، يفيض المسرح فيه بالموسيقى الجنائزية ، يهوي عـــــلى الجسد) أحبك ، وأرفضك . لكي نلبي نداء الارض المليء لا مفر من أشقّ التضحيات . الآن فصـــدت دمي ، ولم يبق الا أن أبدأ .

(سكون طويل مبلل بالموسيقى ، وباحتراز حركة هز الرؤوس) .

علي : (ينهض نافضا رأسه ، ويتطلع الى الجماعة بحدة ثم يردد حازم الصوت) لكن يبقى صمتكم .. يبقى صمتكم .

(ويسدل الستار)

http://facebook.com/kotobmamno3a تصوير

عندما يلعب الرجال★

(المسرح جزء من حديقة عامة اصطناعية . فالاشجار تشبه الرسوم التوضيحية . كتل من الخضرة مغزلية ، أو

★ حين كتبت هذه المسرحية منذ عامين ، كنت آنوي أن تكون واحدة من سلسلة مسرحيات بعضها قصير ، وبعضها طويل ، ويجمعها عنوان واحد هو « الالعاب » .

ذلك كان يبلور بالنسبة لي فهما معينا للمسرح من خلال أساسه الوهمي كلعبة مطمحها أن تكون نموذجا أبرع للعبة الحياة ، وفي أحسن الحالات ان تندغم بها .

لكن ونحن في غمار مشاريعنا الشخصية والمبعثرة هوت على رؤوسنا ضربة حزيران الباغتة . أصبحت متابعة مشروعنا الشخصي كما كنا نتصوره من قبل مستحيلة . الطمأنينة اهتزت ، وكذلك القناعات . ولاننا مطاردون بعرينا ، فان كل ما لدينا يصبح جزءا من شعورنا بالكساح . وهذه المسرحية ، وكثير من فصول المسرحيات الاخرى التي اكتبها منذ سنتين هي كسواها يتضمنها الكساح .

اننا نتحرك لاننا لا نستطيع أن نتوقف . ولكن مما لا شك فيه ، ان أمامنا فترة غير قصيرة قبل أن نتحرر من بهورتنا ، ونعرف بيقين أين نضع أقدامنا .

كانت هذه المسرحية ، آخر أعمال فترة مكتظة بالقلق والاوهام .

مخروطية على اعمدة بنية تبدأ غليظة ثم تهزل كلما ارتفعت الى الاعلى . وهي مرصوفة خـــلال مساحات الحديقـــة بصورة متوافقة تماما مـــع قواعد المنظـــور كما يتعلمهـــا المبتدئون في الرسم ، وكما يبالغون عادة في تطبيقها ، الى حد يصبح الواقع معه صورة هندسيـــة غير صحيحة وان كانت منهجية . كذلك الامر بالنسبة للاعشاب ، والازهـــار الشمعية التي تبدو أشكالها وألوانها والمسافات بينها منتظمة جدا تناقض اندفاعات الطبيعة المشوشة الفطريـــة . حتـــى العصافير نموذجية الشكل مصنوعة من شمع أو خشب .

الديكور اذن ليس تقليدا للواقع بل هو تقليد لتقليد الواقع . بمعنى آخر ، الانتظام والشكل المدرسي الحديقة يجب أن يظهرا واضحين كي يعطيا فكرة عـــن واقع معين جديـــد .

ما نراه من الحديقة هو صف من الاشجار عـــلى بقعة مستطيلة كائنة على يميـــن المسرح ، وثلاث مساحات .. اثنتان للاعشاب ، وثالثة للازهار ، بالاضافة الـــى طريقين متصالبتين واحدة في المقدمة تخترق المسرح من اليمين الى اليسار ، والثانية تبدأ من منتصف المؤخرة تقريبا ، وتنتهي في منتصف المقدمة . على الحافة الداخلية للطريق الامامية، ثمة مقاعد مما نصادفه عادة في الحدائق العـــامة ، لكنها مرسومة على لوحات ورقية أو كرتونية معلقـــة أو مثبتة بالارض . لا فرق .

بعد ارتفاع الستار ، نرى بعيدا فـــي مؤخرة الطريق العمودية رجلين لا نتبين ملامحهما جيدا . أحدهما داوود ،

رجل ربعة . والثاني عمر ، قصير ، هزيل جـــدا ، ومما يبرز هزاله سترتـــه الواسعة على جسمـــه النحيل . في البعيد يبدوان مقعيين يلعبان بالدحل ، وقـد لا يبدو ذلك واضحا للنظارة ، لكن عبر السياق سيتضح كل شيء .

في المقدمة ، تحت واحدة من هذه الاشجار الاصطناعية، يجلس على المقعـــد المرسوم ـ الجلسة متخيـــلة طبعا ـ عبد العليم ، وهو شـــاب في الثامنـــة والعشرين تقريبا . يرين على وجهه استقرار وتوازن واضحـــان ، وله عينان متألقتان ببريق حاد نفاذ . قامته طويلة قليلا ، وهندامـه رغم اتساقه لا يبدو أنيقا .

بعد فترة داوود وعمر يواليـــان اللعب في مؤخرة الطريق العمودية ، وعبد العليم يبدو مستريحا في جلسته ، أو لا يعيرها انتبـــاها . تدخل مـــن اليمين وسط هرج وصخب مجموعة من العجائز المسنين جدا . ثلاثة رجـال وامرأتان . وجوه عجفاء وعيون ذابلة . وجميعهم منغمرون وبشكل حماسي في لعبة « فطّوم العوراء » . فواحدة من المرأتين معصوبة العينين بمنديل أسود ، وحولهـا يهرّج الآخرون هاربين من محاولتها الامساك بواحد منهم . قوام اللعبة هو أن تمسك المعصوبة واحدا منهم ، فيحلّ حينئذ مكانها ، وتستمر اللعبة هكذا . لقد دخـــلوا من اليمين ، وسيقودهم مسير لعبتهم الى الخروج من اليسار . تقريبا أنهم يعبرون المسرح فقط) .

المعصوبة : (مهوّمة بيديهـــا في محاولة اللحـاق بواحد منهم) أعرف انكم هنا . أستطيع أن أميز جيدا

ضحكة كل منكم . لكـــن ما أكثف العتمة .
تصمت .. تنصت ، ثم تنقض بيـــدها نحو
اليسار حيث يوجد أحدهم : يقفز هذا بسرعة.
تخيب محاولتها وتوشك على السقوط ، فيمـا
يضحك الآخرون) ضربة أخرى خاسرة . ومع
هذا فأين ستذهبون ؟

العجوز الاول (ضاحكا) لن نذهب بعيدا . سنظل نحـــوم
حولك كالنحل .

المعصوبة : بل قل كالزنابير السامة .

العجوز الثاني : هل بدأت تتسممين ؟

العجوز الثالث : لا تغضبي بسرعة .

(تتجه المعصوبة يسارا نحو العجوز الثاني . انهـا ليست متيقنة من صواب اتجاهها) .

العجوز الثاني : (وسط الضحك) نعـم .. ها أنذا . اني
أنتظرك . ولكن أقول لك بصراحة : احـذري
أن تدغدغيني في مناطق حساسة .

المعصوبة : حين تمسكك يدي سنرى كيف تهزأ اذن !

(يقترب العجوز الثالث ، ويضربها على ردفيها . تتلفت بسرعة لتمسك به ، فيقفز وهو يضحك) .

المعصوبة : هذه اليد ليست غريبة عليّ .

العجوز الثاني : اسمعوا ! انها تعرف يده .

العجوز الاول : ربما تعودت لمساتها من قبل .

(يضحك الجميع) .

المعصوبة : لولا كثافة العتمة !

(تضرب يمينا وشمالا . الهرج يزداد ، وتلتفت الى الوراء ، لكنها تفشل دائما في اصطياد اي منهم) .

العجوز الثانية : لا تزعمي انك ترين أفضل دون عصابة .

المعصوبة : حقا لو ان لي عينيك العمشاوين لما جاز لي أن أزعم .

(يضحك العجائز الثلاثة ، ويرددون الكلمة بهزء)

العجوز الثالث : عيناك عمشاوان ؟

العجوز الثاني : عمشاوان ؟

العجوز الاول : عيناك عمشاوان . عيناك عمشاوان .

العجوز الثانية : عيناي عمشاوان ؟

المعصوبة : (مخمنة مكانها ، تنقض نحو اليمين ، وتفر الاخرى) أتريدين مرآة ؟

العجوز الثانية : (تأتيها من الخلف ، وتدفعها في ظهرها حتى تكاد أن تسقط) خذي اذن .

المعصوبة : سيأتي دورك ، وحينئذ غير ضروري أن نعصب عينيك . آه .. لو ان الظلام أقل سوادا .

العجوز الثاني : أعطوها مصباحا .

العجوز الاول : او منظارا .

العجوز الثالث : (وهو يقترب منها ، ويضربها على كتفها) ولو ان الظلام أقل سوادا فكيف كنا سنضربك اذن ؟!

(تقفز المعصوبة ، فيفر هذا ضاحكا ، ويخرج من اليسار) .

العجوز الثاني : (يضربها كالاول على كتفها مكررا) نعم .. وكيف كنا سنضربك اذن ؟

(تقفز المعصوبة ، فيفر الثاني ضاحكا ، ويخرج من اليسار) .

العجوز الاول : (بعد لحظات ، يهجم بدوره ويضربها على جنبها) حقا .. وكيف كنا سنضربك اذن ؟

(تقفز المعصوبة ، فيفرّ العجوز ضاحكا ، ويخرج من اليسار) .

العجوز الثانية : (تقترب منها وتضربها بغضب) وهذه مني . انك تستحقين مئة مثلها .

المعصوبة : (تجفل) حتى انت أيتها الرمداء .

العجوز الثانية : (تفرّ ضاحكة) هل في عصابتك كحل للرمد ؟

المعصوبة : (تتبعهم ببطء متحسسة الهواء امامها) انتظروا حتى اتعود هذا السواد . حينئذ لن تفيدكم عيونكم كثيرا .. وسنتساوى . أؤكد لكم اننا سنتساوى . (لحظة) اية شياطين ابتلعتكم ؟

أين ذهبتم ؟ مـــن هنا .. لا بد . ربما أعرف الطريق . لن تذهبوا بعيدا . الطريق قصيرة ، ولن تذهبوا بعيدا .

(تخرج من اليسار . يرين الصمت من جديـــد ، ويظل عبد العليم مستغرقا فـي جلسته ، وقـــد ارتسمت على شفتيه بسمة وادعة . داوود وعمـر يواصلان اللعب في المؤخرة . فترة مديدة . ثـم يدخل تيسير حاملا على قسماته عمره المسنّ الذي نيف على الخمسين وابتسامته الطيبـــة . يقترب مـــن عبد العليم عبر طريق المقدمة حتى يصـــل اليـــه) .

تيسير : (باسما) كالعادة .. أنت دائمـــا غارق فـي أفكارك .

عبد العليم : (يبتسم وقد فوجىء) أهلا بالعم .

تيسير : (متحمسا) أعرف هذه النظرة . جيدا أعرفها . كالهررة الحاذقة لا تدع شيئـــا يفلت منها . وما هي بالجديدة عليّ . أذكرك طفـلا . تلك الايام لم تكن تحب اللعب أبـدا ، وانما امساك الاشياء والنظر اليهـا . كنت أقول للمرحـوم والدك . آ .. كـــانت صـداقتنا أوثق مـن الاخوّة . ما لنا . رحم الله تلك الروح . كنت أقول له دائما : ان عيني ابنك ستحققان أعمالا عظيمة . وكان يغتبط وجهه ويجيب : حقا انه يختلف عن باقي اخوته .

عبدالعليم : (بخجل وتواضع) لا تبالغ يا عم تيسير .

تيسير : أبالغ ؟! أهناك كثير من الناس ينالون جوائزك وشهاداتك ؟ حين يقارن المرء بينك وبين ابني وكثير من أقرانه يبدو جيداً فيما اذا كنت أبالغ أم لا .

عبدالعليم : (لا يزال خجلا، وكأنه يريد تغيير دفة الحديث) ولكن تفضل بالجلوس قليلا . أن الشمس جميلة هذا اليوم .

تيسير : لا . . لا أريد أن أضيع وقتك .

عبدالعليم : لا أفعل شيئا في الواقع . وسيسرّني كثيرا أن تشاركني جلستي .

تيسير : (متملصا) ليس ضروريا . (لحظة) ثم انني في الحقيقة لا أرتاح اذ أجلس على هذه المقاعد . قل لي : هل تجدها أنت مريحة ؟

عبدالعليم : لم أنتبه . انها مقاعد جديدة فيما أحسب .

تيسير : نعم . . ومع هذا . . لا أدري . أشعر وكأنها ليست ثابتة ، أو كأن المرء حين يجلس عليها لا يكون مستقرا . على كل حال . أفضل تلك القديمة ، فقد كانت فسيحة وثابتة .

عبدالعليم : (مبتسما) هنالك دائما أشياء جديدة ينبغي أن نتعود عليها . وغالبا ما يكون جديد الاشياء أفضل من قديمها .

تيسير : أفضل ! ذلك سهل أن يقوله شاب مثلك . اما

بالنسبة لي فثمة اختلاف أكيد . (يضحك بمودة) مقاعد تلك الايام مريحة أكثر . وخضار تلك الايام لذيذة أكثر . وكذلك الهواء والطقس . أنظر الى الطقس كيف أصبح يتقلب مرات ومرات خلال نهار واحد . الشمس ذاتها انقلبت صفراء مثل زهرة ذابلة . (يضحك) ستظنني عجوزا هرما ينخره التعصب . ولكن في الحقيقة أصبحت الامور محيرة كثيرا .

عبدالعليم : (يبتسم بمعنى انه يفهم محدثه جيدا) ربما كانت هناك تغييرات حولنا ، غير انها طبيعية . وفي رأيي المسألة كلها تتعلق بالعادة لا أكثر .

تيسير : (باهتمام وجدية) أتظن انها العادة ؟

عبدالعليم : لعل أشقّ روابط الانسان وأمتنها معا هو العادة !

تيسير : (مفكرا ومفتشا عن الكلمات) كلا .. ما أعنيه مختلف قليلا . انه أصعب من مجرد العادة . (لحظة) سأقول لك اذن بماذا أفكر . اصغ اليّ يا عبد العليم . أنت شاب يفهم . حين أنظر الى ابني وأقرانه .. (يسهل مسيل الكلام على لسانه) في يوم كنت أنا نفسي ابنا لاب . كم ان كل شيء كان مغايرا وواضحا ! هل تفهم ماذا أعني ؟ ما بين الابن وابيه لا يمكن أن يتطرق اليه الغموض أو الالتباس . وكان الامر كذلك ، أما هذه الايام (ويهزّ راسه) لا أبغي الاثقال عليك

بمتاعبي .. ويكفي أن أقول . حين أنظر الى ابني غالبا ما أشعر انه مخلوق جاء من بلاد غريبة. هو لا يراني . انه لا يرى شيئا سوى ألعابه التي ينصرف اليها والآخرين . وتلك ليست حالتي فحسب . أنظر حولنا فماذا أنت واجد ؟ اللهو فقط ، وما من أحد يرى الآخر . نعم هذا شعوري .. ما من أحد يرى الآخر .

عبد العليم : (هادىء النبرات) أقدم من جيلنا وجيلكم يا عم أن الناس دائما يتألمون ويلهون .

تيسير : (يفكر) تقول دائما ! (لحظة) ربما ، ولكن ليس كمثل هذه الايام . على الاقل كانت الارض تبدو ثابتة تحت أقدامنا . ولا أحسها الآن كذلك . كل شيء يتبدل ويزداد علة . تتشابه في ذلك الشؤون الكبيرة والصغيرة . البارحة مثلا .. لا شك انك سمعت بمشاجرة السمان حمزة وعبد الغني المهتدي ..

عبدالعليم : لا .. لا اعرف عنها شيئا .

تيسير : البارحة وقت العصر ، كاد السمان حمزة أن يقتل عبد الغني المهتدي من أجل ربع ليرة . بدأ الكلام وديا ثم هاج . رفع حمزة كيلو الحديد وضرب الآخر به ، ولولا انه مال برأسه لقتله . أصابت كتلة الحديد عظم كتفه فتهشم . كل ذلك من أجل ربع ليرة . تصور .. من أجل ربع ليرة فقط . لقد عشت أكثر منك يا عبد العليم ،

وانـــي أرى حياتنا تزداد كـــل يوم فوضـى واضطرابا .

عبد العليم : (عميق الهدوء) الم تكـن الحياة دائما فوضى قاتلة ؟ المشاكل هي الاخرى قديمة .

تيسير : الا ان الغشاوة التي تضرب على عيوننا لم تكـن يوما بهذه الكثافة .

عبد العليم : (ضاحكا وكأنه يريد أن يمازح الآخر) ومع هذا فاني أراك الآن جيدا .

تيسير : (مبتسما) ومن يرتاب فـي ذلك ؟ هـــل أنت كالآخرين ؟ أعلم جيدا انك أبصر منهم .

عبد العليم : او صح ما تقول لما كنت كثير التعثر بحجـارة الطريق هكذا . أمي تسميني ضريرا بلا عمى .

تيسير : (ضاحكا) فعلا سمعتها تقـــول ذلك . المـرأة الطيبة . الا تعلم ان بصرك مشغول بما هو أهم، وان تعثرك بالحجارة ثمنه المزيد من الشهادات ؟

عبد العليم : لطفك يخجلني يا عم تيسير .

تيسير : تستحق أكثر يا بنيّ . هذه الهيئة الجـــادة ، وهاتان العينان المفكرتان . منـــذ طفولتك كنت ترى أبعد من الآخرين .

عبد العليم : (يكتسي وجهه بجد هـــادىء) لا يجوز لـي الادعاء بأني أرى أبعد من الآخرين . لعلّي أرى الامور بصورة مختلفة قليلا . هذا كـل شيء .

كنا نتحدث مثلا عن فوضى حياتنا . وما حولنا من مظاهر متشابكة يوحي بأن الاوضاع تمعن في التداعي . لكـــن أتدري ؟ أؤمن رغم كـل التعقيد الظاهر ان من الممكن في وقتنا الحاضر أكثر من أي وقت‌مضى معالجة فوضى‌الاشياء .

تيسير : (دهشا) أتعتقد فعلا ان ذلك ممكن ؟

عبدالعليم : أجل أعتقد .

تيسير (مترددا وما يزال مندهشا) أنا .. أنا أعرف ان خمسة وعشرين نبيا قد تعاقبوا على هذه الدنيا فما رحلت عنها الشرور ولا حـــال ذلك دون ترديها في الفوضى .

عبد العليم : الانبياء ! حقا .. ولكن لدينا الآن من الوسائل والمناهج ما يجعل المرء يحلم بأن يرى حياتنـــا كأرفف الصيدليات منسقـــة .. نظيفـة .. لا تقاربها الفوضى . (يتحمس) كل شيء في مكانه ، وكل لفتة في حسابها . أرأيت الـــى نظافة الصيدليات وحسن ترتيبها ؟ هكـــذا يصير العالم . (تبرق عيناه) وأظـن ان ذلك ممكن .. يقينا ، لا بد انه ممكن .

تيسير : (بعد فترة .. مأخوذا بحماسة محدثه) نبيـل ما تحلم به . عالم كالصيدليات .. أرفف‌منسقة نظيفة. كم سيكون‌ذلك رائعا ! أنت أغزر معرفة من أمثالي . ولا ريب انك تدرك ما تقـــول .

لكن رغم هذا كله أتساءل : من يستطيع التأكيد ؟

عبد العليم : (شارد النظرة) حين نعرف الى أي حد توسع فهمنا لانفسنا ولما حولنا يصبح التأكيد جائزا . (لحظة) قديما كان الانسان كالاعمى . كل ما يحيط به ألغاز وأسرار . أما الآن فقد تغير الامر . الاسرار تنقشع وكذلك الالغاز . ويوما بعد يوم يصبح ممكنا أن تنتظم الامور في أماكنها الصحيحة انتظام الافلاك في مداراتها . اني لا أحلم . ولكن كما قلت لك ، أرى الامور بصورة مختلفة .

تيسير : ليتني أراها مثلك . انك لا تعرف كم هو مريح أن يعتقد المرء بأن غدا هو يوم أفضل . ولكن أهذا أمر سهل ، والفوضى تبدو حولنا أخصب تكاثرا من الذباب ؟

عبد العليم : صار بوسعنا أن نفهم . وتبديد الفوضى سهل اذ تكشف مواقعها . (لحظة) عندما أتأمل ما لدينا أحسّ انا لم نكن ضائعين تماما ، واننا نحو ضوء حقيقي نسير .

تيسير : (بعتاب) يا عبد العليم ! أتسمّي ما نراه من الغفلة والفساد دربا صحيحة ؟ (بحدة) أين هذا الضوء الذي نسير نحوه ؟

عبد العليم : (ضاحكا) ربما كان وراء تلك الشجرة ، أو خلف سور الحديقة . اني موقن بشكل ما انه ليس بعيدا جدا .

تيسير : (يظل عينيه بيده ، ويتظـاهر باحداد النظر ، يتلفت حوله ، ضاحكا بتسامح) أقول الحق . لا ألمح ضوءا حولنا .

عبد العليم : اذن أخشى أن تؤيد الآن أمي عـلى القول بأني ضرير .

تيسير : لا . . أنت لا خوف عليك . أما أنا فمـن يعرف ما فعله الكبر بأمثالي ؟

(تبدأ الشمس بالشحوب خلف غيوم تتجمع فـي السماء . يبرد الطقس تدريجيا) .

عبد العليم : (يعود جادا) أتلومني ؟ معك حق لو فعلت . لعلني لا أحسن التعبـيـر . (لحظة) الواقع ليس سهلا أن أشرح ما أفكر به . لا أريد القول بأن الفساد لا يوجد ، وبأن المشاكل تتناقص . على العكس ، ربما كانت الاوضاع تبدو وكأنها تتعقد أكثر فأكثر . الا ان الانسان هذه الايـام ليس أعزل . هذا ما أرمي اليه . انه لمثير جدا ان نتابع ما بلغته معرفتنا . أحيانا يشعر المرء بما يشبه الذهول . (لحظة) ألاحظت كيف ان الامراض تنهزم يوما بعد يوم ؟ نعم هــذا مثل معقول .. الامراض . انها لم تنته طبعا ، غير انها لم تعد أرواحا غامضة وشرورا مجهولة . اكتشفنا معظمها ، وبذلك صار في مقدورنا أن نعالجها . أنظـر .. ذلك مثـل بسيط عـلى

امكانياتنا . وحين نستطيع تعميم ذلك ، فاتنا سنعيش في مكان حسن الترتيب .

تيسير : (شارد الوجه مأخوذا) هذا المكـــان المرتب كم تخيله ناس من قبل . الامراض !.. وبما كـان ذلك مقبولا . أما الخيانة فما قولك بها ؟

عبدالعليم : (مبتسما) هي مشكلة لها حلول .

تيسير : والحسد ؟

عبدالعليم : هو أيضا مشكلة ولها حلول .

تيسير : (تتداعى الاسئلـة الثلاثة وراء بعضها دون أن يتبدل شروده) والاحزان ؟

عبد العليم : كلها مشاكل . طبعا ثمة عمل كثير أمامنا . الا ان بداية الخيط أصبحت بين أصابعنا .

تيسير : لا أدري ... من المؤكد ان الكتب تحفل بالاشياء المدهشة ، وانك أعلم مـــن أمثالي . (ينفض رأسه .. بعد لحظة) لكن ما أعرفه جيدا هو ان خمسة وعشرين نبيا قد تعاقبوا على هذهالدنيا فما رحلت عنها الشرور ولا حـــال ذلك دون ترديها في الفوضى .

عبد العليم : (مبتسما) أصبحنا نقهر الامراض .

تيسير : ربما .. غير ان .. (يتوقف لحظة) آه . خمسة وعشرون نبيا جاؤوا يبلغون الرسالة .. ذلك

قديم جدا مع هـذا .. لا أدري .. كنتَ منذ الطفولة مختلفا عن بقية الاولاد . لا ريب انك ستنال المزيد من الشهادات ان لم تلتق عجائز كثيرين مثلي يضيعون وقتك .

عبد العليم : يا عم ...

تيسير : لا .. سأتركك الآن الى مناسبة أخرى .

عبد العليم : قلت لك لا أفعل شيئـا (تهبّ نسمة باردة ، فيرتعش تيسير ، ويلفّ جسده بسترته) .

تيسير : مثلك لديه دائما ما يفعـله . (يتلفت حوله ، ينظر الى السماء فيجدها غائمة) ثم .. انتبه.. ها ان الطقس يتبدل . منذ دقائق كانت الشمس ساطعة والهواء دافئا. (يضحك) كيف يستطيع عجوز مثلي ألا يستغرب ؟! والآن وداعا .

عبد العليم : (ضاحكا) مع السلامة .

(بعد أن يسير تيسير عدة خطوات يلتفت نحوه)

تيسير : (بصوت قوي) ألهانا الحديث . لا تنس أن تبلغ والدتك تحياتي .

عبد العليم : شكرا لك يا عم .

(يمضي تيسير . يغوص عبد العليم ثانية في سهومه الباسم . ويقترب داوود وعمر مـن المقدمة .. لا يزالان يلعبان . داوود ـ حوالي الثلاثين ـ وجهه بيضاوي ، ذو ذقن مزدوجة يغلفهـا خط غائر .

الاذنان عريضتان تنفرشان علــى جانبي الوجه كالمناديل المتسخة . وعيناه زرقاوان تحوط زرقتهما خطوط حمراء ، وتلمهما أجفان سميكة محتقنة . أما عمر ـ حوالي الثلاثين أيضا ـ فانـه قصير هزيل . وجهـه حاد الملامح ، وعيناه تشعان بنوع من التعجرف المتوحد والعنيف . انهما يلعبـان بالدحل لعبة « الشبر والاصابة » . يلقي واحـد دحلته ثم يحاول الثاني اصابتها ـ الاصابة تعني الربح بشكل حتمي ـ أو رمي دحلته قريبا منهـا بعدد من الاشبار اتفق عليه مـن قبل . فان نجح ربح الرهان وهو هنا خمس دحلات . ويستمـر اللعب بنفس الطريقة . قبل أن يصلا الى المقدمة حيث يبدأ حوارهما ، تنقضي فترة مديدة مـن الصمت ، الضوء يغبر بسبب غياب الشمس . وهما يتحركان حسب مقتضيات اللعبة ، فيما يظل عبد العليم غارقا في جلسته وصمته) .

داوود : (ويبدو مستخفا مبتهجا ككل الرابحين) لنقل شبرين

عمر : (كابي الوجه ، تزداد ملامحـه حدة) بل شبرا واحـدا .

داوود : (ضاحكا) أنت كأبي ، ما أن تخسر حتى تصبـح عسيرا . البارحة جعلته يكفر بكل شيء . على كل حال قبلت .

عمر : العب .

داوود : (وهو يتهيأ ارمي دحلته) هذه بسيطة . أنظـر

كيف سأصيبها أيضا . ورثت عن أمي براعة أصابعها ، ودقة رميتها . ان امرأة في الحارة لا تستطيع أن تباريها .

عمر : (محنقا) لن تروي لي قصة عائلتك . العب .

داوود : (وهو يقذف الدحلة من بين ابهامه وسبابته) لا تكن غضوبا . (يصيب دحلة عمر) أرأيت ؟ قلت لك سأصيبها . والآن يدك على خمس دحلات أخرى .

(عمر مغتاظا يعدّ له الدحلات ، ويناوله اياها)

عمر : ارمِ .

داوود : أكلّ من عرف كيف يمسك الدحلة صار لاعبا ؟ (يرمي دحلته فتقع قرب عبد العليم الذي لا يعيرهما انتباها) جارنا حسن البغدادي لا يستطيع أن يرمي دحلته الا اذا وضعها على ظفر ابهامه ، ومع هذا فهو لا يبارى . ان الدم يحتقن دائما تحت ظفره المتآكل . والآن ماذا قلت ؟

عمر : ثلاثة أشبار .

داوود : (ضاحكا) ولمَ لا تقول مترا ؟

عمر : (لا يخفي ضيقه) طيب .. شبرين .

داوود : يصبح اللعب في النهاية بلا اثارة .

عمر : (محتدا) لن أراهن على أقلّ من ذلك .

داوود : قبلت . قبلت . الا ان الرهـــان حين يكــون مضمونا يفقد لذتـــه . والربح لا يستوعب الا جزءا صغيرا من لذة اللعب .

(عمر يكفهر أكثر . يقعي ويرمي دحلتـــه بحركـة حانقة . تأتي بعيدة ويخسر) .

داوود : غير معقول . كل هــذه التسهيلات ولم تفلح ؟ بصراحة .. حرام أن تلعب بعد الآن

عمر : هل تعفيني من نصائحك وتعليقاتك السخيفة ؟

داوود : كما تشاء . اسمح لي اذن بخمس دحلاتأخرى . كم بقي معك ؟ (ضاحكا) من الآن فصاعــدا سأوصي خياطي بأن يضع في ثيـــابي جيوبا اضافيـــة .

عمر : (يناولهالدحلاتويزداد وجهه اكفهرارا) لنتابع .

داوود : الحقيقة لا أجد من العدل أن تواصلاللعبمعي .

عمر : (بعنف) ماذا ؟ أتريد الانسحاب ؟

داوود : أنا ؟ ولمَ ؟.. ألأنني أخسر ؟ حسنا .. وددت لو توفر ما بقي معك . ولكن أنت حرّ . ارمِ . (يرمي عمر دحلته) .

داوود : (باستخفاف) أقول فترا .

عمر : اسمع . وصلت حدّها . لا أحب المزاح .

داوود : وهل تظنني أمزح ؟

عمر : (دهشا) لا تمزح ؟ العب اذن .

داوود : سألعب . (يقعي) ولا تقل ان في ذلك سحرا . أنظر .. (يرمي دحلته ، فتقع قرب الاخرى بما يقلّ عن الفتر) أرأيت ؟ هات أيضا .

(عمر وكأنه سينشق ، يفتش في جيوبه فلا يجد الا ثلاث دحلات)

داوود : (يراقبه بشماتة) ألم يبق معك الا هـذا ؟ ما العمل ؟ هاتها .. لقد انتهى اللعب اذن ما دمت قد خسرت كل ما معك . (يمد يده ليأخذها ، لكن عمر لا يبدو انه يرى يده) هات .. أم انك تلقي عليها نظرة وداع ؟ قبلها اذا شئت .

عمر : (نزق اللهجة ، حاد النظرة) لن أعطيك .

داوود : لن تعطيني . أفضل لك هاتهـا . لا أريد أن أضيع وقتي . يجب أن أبحث عن لاعب آخر .

عمر : (بحزم يتنامى) لن أعطيك . وأريـد كل مـا خسرتـه .

داوود : (مندهشا) كيف ؟

عمر : أقول .. أريد ما خسرته .

داوود : (ينخر بازدراء) أما قصة طريفة !

عمر : طريفة أو غير طريفة . ردّ لي ما خسرته .

داوود : وأنا أقول لن أردّ لك دحلة واحدة .

عمر : بل ستردّها .

داوود : لن أردّها . أسلوب قديم . انك تخادع لكي تنجو بالثلاث الاخيرة .

عمر : أخادع ؟

داوود : نعم تخادع وتنصب أيضا .

عمر : (تحمرّ عيناه) ولمن تقول هذا الكلام ؟

داوود : طبعا لك .

عمر : هذا كثير فعلا ، وسأجعلنّك تدفع ثمن بذاءتك.

(الاصوات ترتفع تدريجيا) .

داوود : أتهددني ؟ لم يبق الا أن أخشى صعلوكا مثلك .

عمر : صعلوك ؟

داوود : بل أقلّ من ذلك .

عمر : آ لا .. (يهجم على داوود . يتماسكان . ينهض عبد العليم ويرمي بنفسه بينهما) .

عبد العليم : سمعت القصة كلها . أمن أجل بعض الدحل تختصمان ؟ لن تقولا ان هذا معقول أو ممكن التصديق ؟

عمر : والله سأربيك .

داوود : أنت تربيني . لماذا لا تجرب ؟

عبد العليم : وكل هذا من أجل بعض الدحل ؟ اللعنة على الدحل .

عمر : (يستل خنجرا من جيبه الداخلي . بصوت مجروح) انتظر اذن .

داوود : هو ذا الجبن . انك تلجأ للخنجر . ولكن من الذي سيخاف خنجرك الخشبي ؟!

عمر : لن تخاف ؟ (يتجه صوبه) .

عبد العليم : (يضع نفسه بينهما ، ويحاول بلهجة صبورة) وما قيمة الدحل ؟ خذا .. أستطيع أن أعطيكما نقودا تشتريان بها عددا كبيرا من الدحل . فقط هدئا نفسيكما قليلا .

داوود : أعطه هو . وما لديه عزّة في نفسه ترفض .

عمر : (الى عبد العليم) ابتعد .

عبد العليم : (متسامحا) اني أتكلم جادا (يتناول من جيبه بعض القطع النقدية ويمدها الى عمر) تستطيع أن تشتري كمية كبيرة منها .. ولكن اطوِ الآن غضبك وخنجرك ..

عمر : أنت الآخر ؟!

داوود : خذها . لماذا تتردد ؟

عبد العليم : ذلك لا يعني شيئا . اني لا أجد مبررا للغضب. بعض الدحل ! هذه مسألة تافهة للغاية .

داوود : (شامتا) خذها .. خذها .

(تنقد عينا عمر . يرفع خنجره . يحتدم الموقف بين الثلاثة . تتناثر كلمات : ـ والله ـ اقترب ـ لا يجوز ـ خذ ـ ملعون أكون لو ..
وينهال الخنجر . يشق صدر عبد العليم من الناحية اليسرى . اننا لا نعرف أن كان قد قصد أن يضربه أم لا . يخرّ عبدالعليم أرضا ، وهو يضع يده على صدره النازف) .

عبد العليم : (من خلال حشرجته) غير انني كنت . (لحظة) من أجل بعض ..

(تميع الكلمات في أوصال شخير منهك يتهامد . يرين جو كالذهول) .

داوود : (أبله الوجه) لقد قتلته .

(يتردد عمر . ينظر حوله ، ثم يعدو خارجا من اليمين . داوود حائر . يقف لحظات مشتت العينين . تقفز نظراته حيرى فيما حوله . بعد فترة ينحني على الجثة . يجرب أن يحملها فلا يستطيع . يجرها قليلا الى جانب الطريق . لكنه فجأة يتوقف) .

داوود : (ينظر حوله) لكن .. من يدري ؟ (وبغتة يطلق ساقيه للريح ، ويخرج من اليمين) .

(يرين على المسرح صمت ثقيل ، وما زالت الاضواء تتخافت . بعد قليل ، يدخل العجائز الذين يلعبون « فطوم العوراء » من اليسار .

لقد أصبحت العصابة الان علـــى عيني العجــوز الثالث . نفس الهرج والضحك والحركات القافزة. ان عبورهم المسرح هذه المرة أسرع قليلا) .

العجوز الاولى : والآن .. ما رأيك بالظلام ؟

المعصوب : العصابة مشدودة جدا .

العجوز الثاني : لا تجرّب الحجج الواهية .

المعصوب : ولكن .. بالفعل أحسّ لي رأسين .

العجوز الاولى : اطمئن .. بعـــد قليل لن تحسب أن لك أي رأس .

(يهجم العجوز الاول ويضربه عـــلى خاصرته . يحاول أن يمسك به فلا يفلح) .

المعصوب : قلت لكم منذ البداية ألاّ تضربوني علـــى خاصرتي . كليتي مريضة .

العجوز الاولى : (تصفعه على قفاه) وهنا .. هل تشكـو مرضا ما ؟

المعصوب : أنتِ حاقدة .

العجوز الاولى : لقد لعبت دوري حتى نهايته ، ولا تستطيع أن توجه لي أيما لوم .

العجوز الثانية : على كلّ لا تبتئس . الغيم أخفى الشمس ورؤيتنا ليست أفضل كثيرا .

المعصوب : الا انها قاسية . كما لو كانت اطارا من حديد يقطع الرأس . (يضربه العجوز الاول) آ .. ضربة غادرة .. ولكن كيف نسيت بهذه السرعة ؟

العجوز الثاني : اذن خذ .. هذه ضربة أمينة .

العجوز الثانية (تدفعه من الوراء) وهذه دفعة للمعابثة .

المعصوب : سترمونني . أين تجدون كل هذه القسوة ؟

العجوز الاولى : لا تتذمر سريعا هكذا . (وتضربه على بطنه) .

المعصوب : (غاضبا) آي .. احذروا اذن . لن أوفركم بعد هذه اللحظة .

(يتقدم نحوهم . يتراجعون أمامه ضاحكين ومصفقين ليخرجوا واحدا اثر الاخر من اليمين) .

المعصوب : (وهو يتعثر) كأنني أمشي على هذه الدرب لاول مرة . كيف يختفي كل شيء بهذه السرعة ؟ اني لا أذكر من تفاصيل الطريق الا .. ربما لا شيء تقريبا .

العجوز الثاني (للاولى) احذري . انه يقترب منكِ .

العجوز الاول : لا .. انه يريدني .

(يتدافعون ، ويخرجون ..)

المعصوب : حقا يشعر المرء ان رأسه فارغ تماما . أو انـه بلا رأس . تماما بلا رأس .

(ويخرج خلفهم بينما يرين الصمت أعمق وأقسى. يصبح الضوء كغلالة الغروب في ساعته المتاخرة .. امحت تفاصيل الموجودات وغابت .. يعبر تيسيـر المسرح ، ولان العتمة تخفيه يبدو كشبح هزيل يمر أمامنا) .

تيسير : لا حول ولا قوة الا بالله العظيم . منذ قليل .. (يتلكأ قرب الكرسي) منذ قليل فقط (يتابـع سيره ليخرج من اليسار) لا حـول ولا قوة الا بالله العليّ العظيم .

(ستار)

الفهرس

	صفحة
المقهى الزجاجي	٥
لعبة الدبابيس	٣٩
فصد الدم	٦٥
عندما يلعب الرجال	١٠٧

تصوير http://facebook.com/kotobmamno3a

مسرحيات للمؤلف

من منشورات « دار الآداب »

- حفلة سمر من اجل ٥ حزيران
- الفيل يا ملك الزمان
  ومغامرة رأس المملوك جابر
- سهرة مع ابي خليل القباني
- مأساة بائع الدبس الفقير
  ومسرحيات اولى

الثمن : [redacted] ل. او ما يعادلها